

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

République Algérienne Démocratique et Populaire

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique



المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف - ميلة-

معهد الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

ميلة في النصوص الرحلية العربية الحسن الوزان نموذجا

مذكرة معدة استكمالاً لمتطلبات نيل شهادة الماستر

التخصص: أدب

الشعبة: أدب عربي

عربي قديم

إشراف الأستاذ:

إعداد الطالبتين:

عبد الحفيظ بوريو

- صليحة بدرون

- نعيمة بوقاعدة

السنة الجامعية: 2017/2016

كلمة عرفان

الفكر هو العمود المحوري الذي يوجه الأمم، وبه ترقى في مختلف مناحي الحياة البشرية والنفسية والمادية.

كل الحضارات القديمة كانت لها بصمة مستظلة من الأفكار النبيرة في مشارق الدنيا ومغاربها، وبما حوروا وحرفوا ومالوا بها في الكثير من منعرجات الزمن ولكنهم فتحوا لنا أبوابا أوسع للاعتناء بالفكر وطرحه طرحا ممنهجا، وعدم انحصاره في محاوره الذاتية، من لبناتهم الأولى كوننا فكرا منطقيًا يناقش من خلال العقل والعلم والحكمة.

على صفحاتنا مجدنا العالم المفكر حينما استشهدنا من خلاصات الكتب بأقوال المفكرين والغرب والعرب على حد سواء، والذي لا ريب فيه أننا تنقلنا في مختلف العصور بعيون الدهشة والاعجاب من قادة الفكر الذين وجهوا البشرية إلى العلم المتقدم المنهجي، فأرثوا لأدب الرحلات وكانك مؤلفاتهم قبسا من الإضاءات، ساعدتنا على الغوص في مفاهيم هذا الأدب الشيق. ما استنبطناه من هذا البحث أنه من الضروري أن نقيم وندرس ما تركه الأقدمون من فكر، حتى ندرج إلى القرن القادم بأسس صحيحة راسخة، فكان لزاما علينا أن نعير اهتماما بالغًا للجهود التي يبذلها أولئك الذين تغلبوا على الاعتبارات والموانع المختلفة فأبوا إلا أن يتركوا لنا زبدة تجاربهم من مختلف بقاع المعمورة.

هذه المذكرة تمت بجهود الأستاذ الألق بوريو محمد العفيف توجيها وجهدا، فله أول الشكر وآخره ودعاء لا تجرفه عجلة النسيان ولا دوامة الأيام.

ندعو الله عز وجل أن يلهم أمتنا دروب الخير والإصلاح، في كل تطور تربوي وفكري.

بوقادة زعيمة

بدرود طليحة

مقدمة

مقدمة:

يعتبر أدب الرحلة من أجمل أنواع الآداب، إذ أنه يعكس ويوثق كل ما صادفه الرحالة عبر رحلاته كلها، وينقل كل ما رآه خلال رحلاته، ويصف الأماكن التي زارها، ويصف عادات الشعوب وأهلها، وينقل كل المواقف التي تعرض لها خلال رحلاته. ومن هنا استمدت كتب الرحلات متعتها، حيث أن كل من يقرأها يشعر بالمتعة الكبيرة وكأنه عاش في تلك البلاد في تلك الفترة، فهي بمثابة فيلم سنيماي مصور، تصف بشكل دقيق كافة التفاصيل، خاصة إن امتلك الكاتب أسلوباً أدبياً شيقاً في الكتابة، وهذه الحلاوة التي يتذوقها القارئ في النصوص الرحلية تعود إلى هؤلاء الرحالة الذين وفضلهم عرفنا أماكن تناستها المسافات، وعوالم ما كنا لنندرك وجودها لولا تفضل هؤلاء الأشخاص وتحملهم متاعب السفر، ومن بين هؤلاء الرحالة الحسن الوزان الفاسي، والذي كان توغله بين المجتمعات التي زارها فريداً من نوعه، لهذا كان لا بد من إلقاء الضوء على أهم المجتمعات أو المدن التي زارها.

انطلاقاً مما ذكرنا وباقتراح من الأستاذ الفاضل تم اختيار موضوع دراستنا تحت

عنوان: "مسألة في النصوص الرحلية العربية-الحسن الوزان نموذجاً"

وهذا الموضوع تناوله عديد من الدارسين أمثال فؤاد قنديل في كتابه أدب الرحلة في التراث العربي وناصر عبد الرازق الموافي في كتابه الرحلة في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع هجري وحسني محمود حسين في كتابه أدب الرحلة عند العرب.

وهذا الموضوع شجعنا عليه عوامل عدة لدراسته نذكر منها:

* محاولة إلقاء الضوء على رحلات الوزان، والاطلاع على أعماله، وخبايا شخصيته.

* اهتمامنا بموضوع أدب الرحلات شجعنا أكثر على الاهتمام بهذا الفن، ونمى لدينا

الرغبة في الكشف ولو بالشيء القليل من حيثياته.

* محاولة التعرف على أهم الأمور التي نجهلها عن مدينتنا العريقة، والعمل على

تعريفها لمن يجهلها.

وللخوض في غمار هذا الموضوع قمنا بطرح الإشكالية التالية:

-مدى مساهمة هؤلاء الرحالة في الكشف عن مدينة جزائرية عريقة-

ميلة-

وتندرج ضمن هذه الإشكالية تساؤلات فرعية عدة:

ما

المقصود بالرحلة؟ وماهي دوافعها؟ وما هو أدب الرحلات؟ وماهي أنواعه؟ وما الغاية التي يؤديها؟ وما علاقته بالأدب الجغرافي والجغرافيا الوصفية؟ وكيف ينظر الرحالة إلى مدينة ميلة؟

- وللمضي في هذا البحث ومعالجة إشكالية الموضوع والاجابة على الأسئلة الفرعية سلكنا منهاج وهو المنهج الموضوعاتي لكونه يلائم طبيعة الموضوع، ويتمشى وطبيعة النصوص الرحلية التي اعتمدها في الدراسة، وهذا المنهج يقوم أساسا على الآليات التالية: الوصفي بالدرجة الأولى، والتحليلي، والنفسي، والتاريخي، والاجتماعي، وذلك من أجل الوقوف على مختلف محطات الرحلة، ورصد مواقف الرحالة، وما قدمه من معلومات وأحداث ومشاهد تتعلق بمدينة ميلة.
- ولإعطاء هذه الدراسة حقا من البحث والتنقيب، ارتأينا تقسيمها إلى فصلين مسبقين بمدخل بعد هذه المقدمة، فأما المدخل فتناولنا فيه:
- تمهيد
- الرحلة دوافعها وأنواعها، بصفة عامة.
- دواعي تأليف العرب للرحلات.
- التراث الثقافي والاجتماعي العربي.
- الرحلة في التراث العربي الإسلامي وآدابها.
- الموروثات الثقافية والاجتماعية في الرحلة الجزائرية.
- و تناولنا في الفصل الأول أدب الرحلات من خلال مايلي:
- الرحلة من حيث المعنى وأنواعها ودوافعها، وقد انقسم المعنى إلى نقطتين، الأولى تناولنا فيها المعنى لغة واصطلاحا، و في الثانية المعنى في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، أما فيما يتعلق بأنواعها ودوافعها فهي عديدة.

- مفهوم أدب الرحلة وعلاقته بالجغرافيا الوصفية والأدب الجغرافي.
 - قيمة أدب الرحلة والخصائص المميزة للمضمون.
 - وفي الفصل الثاني والأخير بدأنا بتمهيد قصير، وتناولنا بعد ذلك:
 - مفهوم المدينة لغة واصطلاحا.
 - أصل تسمية مدينة ميله.
 - مدينة ميله في مسيرة التاريخ.
 - مدينة ميله في النصوص الرحلية العربية.
 - ثم أتبعنا الفصلين بخاتمة أجملنا فيها أبرز النتائج التي توصلنا إليها خلال البحث، ثم ختمنا هذا البحث بفهارس المصادر والمراجع التي كانت عوننا كبيرا في انجاز هذه الرسالة.
 - ومن البديهي أن هذه الدراسة تقوم أساسا على المادة العلمية، لهذا ارتكزنا على أهم المصادر والمراجع والتي نذكر منها:
 - عبد الحفيظ بوريو: مدينة قسنطينة في أدب الرحلات.
 - البكري: المسالك والممالك.
 - الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق.
 - العبدري: الرحلة المغربية.
 - الحسن الوزان: وصف إفريقيا.
- أما عن الصعوبات التي واجهتنا، فيمكن حصرها في جمع المادة العلمية الموزعة معظمها في مراجع ومصادر عزيز منالها، بالإضافة إلى أن إعدادها وتصنيفها ثم دراستها تطلب منا الجهد الكبير.
- وفي الختام نشكر الله سبحانه وتعالى أن وهبنا أفضل النعم، الصحة والعقل، لنكون في هذا المقام العلمي الطيب، كما لا يفوتنا أن نتوجه بالشكر الخالص وامتنانا العميق لدعم الأستاذ " **عبد الحفيظ بوريو** " لسخائه بتوجيهاته ونصائحه، ودعمه المادي والمعنوي، وفي الأخير نقول لك: بشراك لقوله صلى الله عليه وسلم: " **إن الله عز وجل وملائكته، وأهل السموات والأرضين، وحتى النملة في جحرها، وحتى الحوت في**

البحر، ليُصلون على معلّم الناس
الخير" حديث حسن

مدخل

- 1- مفهوم المدينة
- 2- أصل تسمية ميله.
- 3- مدينة ميله في مسيره التاريخ.

مدخل:

الإنسان كونه رحالا بطبعه، نجده يعشق الترحال والتنقل من مكان لآخر، يدفعه إلى ذلك حب الاستطلاع والاستكشاف والمعرفة، والبحث عن الحياة الهانئة، والعيش الرغيد، فركب البحاري وقطع البراري والصحاري، متمسكا برباط القوة والشجاعة، والقدرة على تحمل الاغتراب، والقدرة على المخاطرة بالنفس وسط الأمواج العاتية والأدغال الموحشة والصحاري الجرداء.

الرحلة سواء كانت للصيد أو للتجارة أو للاستكشاف أو (...)، وسواء كانت برية أو بحرية، فهي تعد من أكثر المدارس تثقيفا للإنسان وتوسيعا لخبراته، وإثراء لفكره، كونها تحفل بكثير من الفوائد التي تصور جوانب مهمة من حياة الشعوب وطباعها وعاداتها، فالرحال قد كابد من المصاعب والمشاق الكثير، لينقل إلينا كل ما يصادفه من مظاهر وعادات وتقاليد ومعالم أثرية لتلك المناطق التي زارها، واصفا بذلك انطباعات أفراد مجتمعهم، ومسجلا أساليب عيشتهم وناقلا مختلف فنونهم وصناعاتهم.

الرحلة فن من فنون الأدب العربي، تخصص ويرع فيه الرحالة على اختلاف دوافعهم في القيام بمثل هذه الرحلات، وأعطوها مذاقا خاصا ونكهة فريدة، وقد شملت ملاحظات الرحالة في رحلاتهم النواحي السياسية للبدان التي زاروها، والتي تتمثل: في الحاكم الذي يحكم المنطقة، الحالة السياسية (...)، والناحية الاجتماعية التي شكلت جانبا لا يستهان به من فن الرحلة، ومن أبرز خصائصها: ذكر معلومات عن الشعوب ومساكنهم وطعامهم وبيئاتهم، وتقاليدهم وتأثير البيئة في لون جسمهم وأخلاقهم وسلوكهم، بالإضافة إلى خصائص العمران والعلم.

كما تعرض الرحالة للإشارة إلى الناحية الاقتصادية، والتي زخرت بالكثير من المعلومات مثل: طرق كسب العيش عند كل الأمم، الزراعة، والتجارة، وأنواع المعاملات التجارية، والأوزان وأنواع العملات وطرق النقل والمواصلات.

في حين حظيت الناحية الدينية والثقافية بنصيب وافر من اهتمام الرحالة، والتي اشتملت: الحديث عن أهم المساجد الموجودة في المنطقة، ترجمة للعلماء، وصف أماكن العلم، أهم العلوم.

بالإضافة إلى أن أهم الخصائص التي قام عليها فن الرحلات، الحديث عن الناحية التجارية، والتي اشتملت: أنواع التجارة والبيع والشراء، والطرق التي تسلكها قوافل التجارة برا أو بحرا، وأهم المدن التجارية، وذكر الأسواق، وذكر العملات التي يتعامل بها الناس، وذكر أهم الصناعات والحرف المختلفة.

والرحالة مهما اختلفت دوافعهم في القيام بهذه الرحلات، إلا أن هناك قاسما مشتركا لأغلب الرحالة، فمعظم كتاباتهم اقتصت بالوصف الجغرافي لكل مكان وصلوا إليه وعايينوه بالمشاهدة، وشمل الوصف الجغرافي لديهم: وصف الأحوال الجوية، المساجد، المباني، أماكن وجود الماء والبساتين، القلاع والحصون، البحر، الجبال والصحراء، الطرق والقرى، الآثار التاريخية القديمة، المجتمعات وأخلاقها وطباعها وعاداتها، المدن، وهذه الأخيرة تناولها الرحالة في رحلاتهم بشكل كبير، ولاحظوا أن لكل مدينة أمم من الناس مختلفة ألسنتهم، وألوانهم، وطبائعهم، وآدابهم، ومذاهبهم، وأعمالهم وصنائعهم، ويرجعون ذلك إلى اختلاف التربة وعذوبة الماء.

اهتم العرب بذكر أسماء الأمصار والمدن والبلاد، وضبط هذه الأسماء واشتقاقاتها إن كانت عربية، وأفضل المصنفات التي اهتمت بهذه المعاجم الجغرافية: معجم ما استعجم، معجم البلدان، تقويم البلدان.

وقد تحدثوا عن أسس اختيار المواضع التي تقام عليها المدن من حيث توافر المياه وملائمة الهواء، وارتفاع المكان.

مفهوم المدينة:

أ/ لغة:

اختلفت التعاريف اللغوية للمدينة من معجم لآخر، إلا أنها في الأخير تصب في معنى يكاد يكون واحد، ففي لسان العرب لابن منظور:¹

مدن: مدَنَ بِالْمَكَانِ: أَقَامَ بِهِ، وَمَنْهُ الْمَدِينَةُ وَهِيَ فَعِيلَةٌ، وَتُجْمَعُ عَلَى مَدَائِنَ بِالْهَمْزِ، وَمُدُنٍ وَمُدُنٍ بِالتَّخْفِيفِ وَالتَّثْقِيلِ.

والمدينة: الحصن يبني أصطمة الأرض، مشتق من ذلك، وكلُّ أرض يبني بها حصنٌ في أصطمتها، فهي مدينة، والنسبة إليها مدنيٌّ والجمع مدائنٌ ومُدُنٌ.

وفي كتاب العين لأحمد الفراهيدي:

مدن: المدينة فعيلة تهمز في الفعائل، لأن الياء زائدة [والمدينة اسم مدينة الرسول عليه السلام، خاصته]، والنسبة إلى المدينة مدنيٌّ.²

وكل أرض يبني بها حصن في أصطمتها فهو مدينتها، وابن مدينة أي العالم بأمرها، ويقال للأمة مدينة، أي مملوكة، والميم ميم مفعول، ومدن الرجل إذا أتى المدينة.

¹ ابن منظور الإفريقي المصنف: لسان العرب، الجزء 17، تق عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة، د ط، د ت، ص 4160، 4161.

² الخليل بن أحمد الفراهيدي: العين، الجزء الثاني، تق عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 2003، ص 128.

وفي المعجم الوسيط لإبراهيم وآخرون:¹ مَدَنٌ مَدُونًا: أتى المدينة (تَمَدَّن) عاش عيشة أهل المدن، وتنعّم وأخذ بأسباب الحضارة.

المدينة: الحضارة واتساع العمران، المدينة المِصرُ الجامع(ج) مَدَائِنٌ ومُدُنٌ.

وهكذا تكاد معظم المعاجم اللغوية تجمع على أن المدينة: المكان الذي يوفر

لسكانه الاستقرار، و(مدن المكان)، استقر فيه.

ب/ إصطلاحا:

وبعد أن ألمنا بمفهوم المدينة، من خلال تصفحنا للمعاجم اللغوية، فإننا نأتي الآن على مفهوم المدينة من الناحية الاصطلاحية.

تقدم فايز ترحيني بتعريف المدينة على أنها: "الفن بتشعباته الكثيرة من هندسة ونحت

وأدب، وتعني التاريخ والسياسة والتجارة، كما تعني الشوارع والعمارات والانشاءات المدنية والدينية والأرض بترباها ومائها، وتعني أيضا ماضي الإنسان المتطور نحو الأكمل، إذ هي صورة لكفاحه الزمن، وباختصار إن المدينة سل لقضية الإنسان وحضاراته."²

من خلال هذا التعريف يلاحظ أن فايز ترحيني، نظر إلى المدينة من جوانب مختلفة:

اجتماعية، اقتصادية، سياسية، وثقافية، في حين نجد ابن خلدون له رأي آخر حول المدينة وذلك من خلال الحديث عن سبب نشأة المدن، وأفضل البقاع لإقامة هذه المدن، فقد حدّثا في الأماكن التي تتوفر على المياه، والهواء النقي والمكان المرتفع، كما تحدث عن سبب خرابها، فيقول: سبب خراب المدن قلة مراعاتهم لحسن الاختيار في اختطاط المدن (...). وأعطى مثالا بالكوفة والبصرة والقيروان، كيف لم يراعوا في اختطاطهم إلى مراعي إبلهم وما يقرب من القفر ومسالك الظعن، فكانت بعيدة عن الموضع الطبيعي للمدن (...). ولم تكن في وسط الأمم فيعمرها الناس.³ فابن خلدون يرى أن الذي يحفظ للمدينة بقائها، هو أن تكون قد أقيمت في موضعها الطبيعي، بالإضافة إلى كثرة عمرانها، وكثرة صناعتها، وتكاثر سكانها.

¹مصطفى إبراهيم وآخرون: المعجم الوسيط، مادة مدن، مطبعة القاهرة، 1961.

² عبد الحفيظ بوريو: مدينة قسنطينة في أدب الرحلات، مدار يونيفارسيتي براس للنشر والتوزيع، ط 2، 2013، ص 22.

³ جمال الدين فالج الكيلاني: مرجع سابق، ص 22.

لقيت المدينة اهتماما كبيرا من طرف الباحثين، وخاصة الرحالين، فقد تعمقوا في دراستها ونقلو صور حية عن أهم المدن العربية والأجنبية، وقد انصب وصف هؤلاء الرحالة للمدن حول نواح ثلاثة هي: المرافق والمشاهد والأرياض، فالمرافق تضم الأسوار والحصون والمساجد والمدارس والحمامات والمياه والأسواق والمارستانات والمنازل والشوارع والأبواب، والمشاهد تضم: المقابر، والموالد وآثار الأنبياء والعلماء والأولياء والمواقع الإسلامية والمعابد والكنائس والأثار غير الإسلامية، وأما الأرياض فتضم الأحياء والضواحي.¹ بالإضافة إلى هذه العناصر الثلاثة والتي تمثل القاسم المشترك لأغلب الرحالة في وصفهم للمدينة، فقد تناول الرحالة في رحلاتهم الحديث عن المدن، سكانها وطبائعهم وأعمالهم وعاداتهم (...).

لنصوص الرحلية العربية الدور البارز في دراسة المدن، رغم أن هذه النصوص في مجملها قائمة على الوصف، إلا أنها ساهمت في التعريف بالمدينة، وذلك من خلال حديثها عن الموضع و، والموقع، والعمران، والمسكن (...)، ومن بين المدن العربية التي حظيت بنصيب من الكتابات الرحلية، مدينة "ميلة" لكونها مدينة ضاربة في جذور تاريخ الإنسانية منذ عهد الاحتلال الروماني والبيزنطي للأقاليم المعروفة اليوم باسم *البلدان المغاربية*.

¹ عبد الحفيظ بوريو: مرجع سابق، ص 4.

أصل تسمية مدينة ميلة:

اختلفت الآراء والتأويلات وتباينت في أصل تسمية مدينة ميلة بهذا الاسم، فهناك من يرى أن هذه المدينة كانت تعرف في القديم باسم "ميلو"، وهو اسم كان يطلق على ملكة بربرية حكمت ميلة قبل مجيء الرومان، وكانت تسمى "ميلو".¹ وقد تم تأكيد هذه المعلومة التمثال الذي تم اكتشافه مؤخرا خلال تنقيبات 1879-1880، والتي قام بها بعض الأثريين سيدي غانم بميلة القديمة.

كما ذكر صاحب كتاب "وصف إفريقيا"، أن اسمها مشتق من الاسم اللاتيني *ميلة* بمعنى **التفاح**²

وقد عرفت مدينة ميلة أسماء أخرى مختلفة، ذكرت في عديد من النقوشات الأثرية منها: milah, milo, mila, mileo, milavienne, moluim, miluim.

في حين نجد ياقوت الحموي في كتابه "معجم البلدان"، يعرف ميلة بقوله: "ميلة: بالكسر ثم السكون، ولام: مدينة صغيرة بأقصى إفريقيا، بينها وبين بجاية ثلاث أيام، ليس لها غير المزدرع، وهي قليلة الماء."³ ويلاحظ من خلال هذا القول أن الحموي اعتمد في تعريفه لميلة على وصف موقعها الجغرافي.

رغم اختلاف الآراء والتأويلات في أصل تسمية ميلة، إلا أن جل الباحثين اتفقوا على أن أصلها أمازيغي "ميلان" وتعني الألف ساقية، أو الأرض المسقية⁴، لتوفر المياه بالمنطقة وغازرتها، ولكن عندما قام العرب المسلمون بفتحها أطلقوا عليها اسم "ملاح"، غير أنهم فضلوا اسمها القديم "ميلة"، وهو تعريب لاسمها القديم "ميلان" حتى يسهل عليهم

¹ عبد الكريم بوصفصاف: *جهاد المرأة الجزائرية في ولاية ميلة 1954-1962*، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع عين مليلة، د ط، 2008، ص 36.

² الحسن بن محمد الوزان الفاسي: *وصف إفريقيا*، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 2، 1983، ص 60

³ ياقوت الحموي: *معجم البلدان*، م1، دار صادر، بيروت، ط1، دت، ص244.

⁴ عبد الكريم بوصفصاف، مرجع سابق، ص 36.

نطقها، وهذه ميزة تميز بها العرب المسلمون بحيث كانوا يحولون الأسماء القديمة للمدن إلى مدن إسلامية.

إن هذا الاختلاف في أصل تسمية ميله يدل على أن تاريخها جد عريق، وأن هذه المدينة قد تداول في الحكم عليها كثير من الأمراء.

مدينة ميلة في مسيرة التاريخ

تعد منطقة ميلة من أهم المراكز الحضارية في الشمال الإفريقي وحوض البحر الأبيض المتوسط على حد سواء، وقد دخلت في مسيرة التاريخ منذ عهد الاحتلال الروماني والبيزنطي للأقاليم المعروفة اليوم باسم البلدان المغاربية، وقد ساهمت في بناء الحضارة الإنسانية على صعيد القارة الإفريقية والمتوسطية، لما تمتاز به من موقع جغرافي هام يجمع بين خصوبة الأراضي الزراعية الواسعة، والمناطق الجبلية الوعرة ولتتبع تاريخ هذه المدينة، تم القيام بهذه الدراسة الإقليمية للملاحم الكبرى لمسيرة هذه المنطقة، وفي مختلف الميادين الحضارية.

ميلة في العهدين الروماني والإسلامي:

ما ميز المدينة القديمة في ميلة أنها تجمع العديد من الآثار، والتي بقيت شاهدة على مرور وتعاقب عهود مختلفة: النوميديين، وبعدهم الرومان والوندال والبيزنطيين، والعرب المسلمين بالإضافة إلى العثمانيين والفرنسيين.

كانت مدينة ميلة في العهد النوميدي مجرد قرية صغيرة تتخللها مساحات سهلية خصبة صالحة للزراعة، وتربية المواشي، بالإضافة إلى توفرها على المياه، ولكن أثناء الاحتلال الروماني والبيزنطي أصبحت ذات قيمة حضارية كبيرة.¹ فالرومان عملوا على تعميرها فأنشأوا الدور والقصور والأسوار بواسطة الحجارة التي أحضروها من الجبال المحيطة بالمنطقة، أما عندما استولى الوندال على المدينة فبقيت على حالها دون أن يحدث فيها تغيير، في حين لما جاء البيزنطيون عملوا على تجديد بناء أسوارها وأبوابها ومنشأتها العمرانية، فقد قام الإمبراطور البيزنطي "جوستنيان" سنة 540م، ببناء السور المحيط بالمدينة وطوله 1200 متر، ودعّمه بـ14 برج للمراقبة²، فموقع ميلة في التل وبالقرب من الموانئ الساحلية والمدن الداخلية جعلها مركزا لمراقبة باقي الأقاليم المجاورة، وقد استمرت

¹ عبد الكريم بوصفصاف: مرجع سابق، ص 36.

² أحمد توفيق المدني: كتاب الجزائر، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، د ط، 1984، ص 241.

قيمتها كذلك أثناء الحكم الإسلامي، سواء في دولة بني الأغلب أو بني حماد، حيث ظهرت ميلة في فترات مختلفة كسائر أهم المدن وأشهرها في شمال إفريقيا، وكان أول من اتخذها مقرا لحكمه وقاعدة جيشه من الفاتحين المسلمين هو **أبو المهاجر دينار** سنة 60 هجرية¹، فسكان مدينة ميلة عند اعتناقهم الدين الإسلامي بدأوا يبتعدون شيئا فشيئا عن المظاهر التي كانت سائدة قبل الإسلام، وأخذوا يتخلون عن الحضارة البيزنطية ومع مرور السنوات أصبحت اللغة العربية هي اللغة المتداولة، ومنذ ذلك الوقت ازدادت الأهمية الاستراتيجية والاقتصادية والعسكرية لمدينة ميلة " فقد كان لها فضل السبق في رفع راية الجهاد بالوطن الجزائري، كما كان لها شرف الدفاع عن الإسلام ونشره إلى أطراف تلمسان غربا، هذا من جهة ومن جهة أخرى كان لها فضل السبق أيضا في استقبال أبا عبد الله الشيعي حيث قام مواطنوها بحمايته ومساعدته على نشر دعوته في القرن الثالث الهجري (التاسع ميلادي)². لقد عرفت مدينة ميلة في العهد الأغلبي فترات من الازدهار والقوة، وعندما قام عبد الله الشيعي بإسقاط ميلة كانت أول مدينة أغلبية تسقط في يد الفاطميين، وقد ساهمت حضوريا وماليا وعمليا أثناء نشاط أبي عبد الله الشيعي في كتامة (تقع منطقة كتامة كما حددها ابن خلدون في عصره ما بين مدينة بجاية غربا وكتلة الأوراس جنوبا وبين البحر عند بونا (عناية) شمالا)، وقد ظلت ميلة مشهورة بسور من الحجر، حتى القرن الرابع هجري-العاشر ميلادي- عندما قام المنصور بن بلكين بتهجير سكانها إلى "باغية" قرب مدينة خنشلة.³ وكان سبب ذلك هو امتناع سكان ميلة عن دفع الضرائب، وقيامهم بثورة ضده، وبقيت ميلة خالية من السكان فترة من الزمن، وفقدت أهميتها السياسية والعسكرية.

وظلت ميلة على هذه الحال حتى "القرن الخامس الهجري- الحادي عشر ميلادي

عندما امتد إليها نفوذ الحاديين، حيث رجع إليها بريقها، فانتعشت فيها العمارة وتطورت

¹ أحمد توفيق المدني: مرجع سابق، ص 241.

² عبد الكريم بوصفصاف، مرجع سابق، ص 37.

³ المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

التجارة"¹، وقد ساعدها في ذلك الأراضي الزراعية الخصبة، وموقعها في ملتقى الطرق الرابطة بين المدن الساحلية والداخلية.

وأصبحت مدنية ميلة من أعظم مدن كتامة ومنطقة الزّاب، ولكنها منذ القرن السابع هجري- 13 ميلادي- استحالت رسومها وانحط شأنها وشأن سكانها.² وكل هذا بسبب جور الأمراء، وظلت ميلة على هذا الحال إلى أن دخلها الأتراك.

ميلة في العهدين العثماني والفرنسي:

شهدت مدينة ميلة في الفترة العثمانية 1518- 1890 تغيرات إدارية، حيث أصبحت تابعة إلى بايلك الشرق تخضع لسلطة الداوي- داي قسنطينة- وكانت تلعب دورا اقتصاديا هاما في مخزن الداوي، وهي « قد برزت من خلال عائلة بوعكاز بن عاشور في منطقة فرجيو، حيث كانت هذه الأسرة تتمتع بمكانة سياسية وعسكرية واقتصادية واجتماعية بارزة وقد كان بايات قسنطينة يعتمدون عليها في كافة الظروف التي تتطلب ذلك.³»

بالإضافة إلى هذا فقد تميزت ميلة بعمرانها الذي جمع بين الطابع العربي والإسلامي والتركي، مثال ذلك قصر الأغا بفرجيو، ومسجد سيدي بويحي.

وظلت مدينة ميلة تتمتع بقوة عسكرية متميزة، حتى دخل الفرنسيون إلى قسنطينة عام 1837م، وقاموا باحتلالها، فامتد استعمارهم إلى المناطق والمدن التابعة لها، ولاسيما القريبة منها كميلة، وهكذا أصبحت منطقة ميلة كسائر أنحاء القطر الجزائري الأخرى ترزخ تحت وطأة الاستعمار الاستيطاني وعملائه المحليين: "الذين كانوا يستخدمون كأداة قمع واستغلال للفلاحين والعمال الجزائريين وفي مكان من مناطق الولاية."⁴ لكن في المقابل ظلت عمليات التمرد والعصيان على السلطات الاستعمارية، سمة عامة تميزت بها ميلة وباقي المناط الأخرى حتى قيام الثورة الجزائرية سنة 1954 م، فقد دخلت منطقة ميلة في خضم الثورة

¹ عبد الكريم بوصفصاف: مرجع سابق، ص 37.

² موسى لقبال: دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د ط، 1979، ص 150.

³ يحي بوعزيز: ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، دار البعث، قسنطينة، ط1، 1980، ص 112.

⁴ عبد الكريم بوصفصاف: المرجع السابق، ص 43.

التحريرية باعتبارها تشكل جزءا هاما-الناحية الثالثة- حسب تقسيم الثورة" وقد ساهمت بدور فعال في زعزعة أركان الاستعمار وتحطيم قواته البشرية والمادية في المنطقة، نظرا لما تمتاز به من مواقع جبلية وغابية صعبة المسالك.¹ ومن بين المناضلين الذين خطوا للثورة وفجروها في اليوم المحدد "ديدوش مراد" والذي أسندت إليه مهمة قيادة الشمال القسنطيني، بمساعدة كل من المجاهدين زيغود يوسف ولخضر بن طوبال وعمار بن عودة² ومنطقة ميله كانت منطقة استراتيجية بالنسبة للثورة لما تتوفر عليه من أراضي زراعية خصبة، حيث كانت تمول معظم المناطق الشمالية بالقمح والشعير واللحوم، وغيرها من المنتوجات الفلاحية والحيوانية.

وهكذا واصل المجاهدون في منطقة ميله حريهم بأسلوب يجمع بين "حرب العصابات والحرب التقليدية"³، وبذلك تمكنوا من قهر العدو واسترجاع السيادة الوطنية وارجعوا للمنطقة كرامتها وحقها في العيش الرغيد.

ميلة بعد الاستقلال:

منذ استرجاع السيادة الوطنية حتى سنة 1984م ظلت ميله دائرة تابعة لولاية قسنطينة ولكن نظرا لاتساع المنطقة وازدياد عدد سكانه، ومن أجل تقريب الإدارة من المواطن وبموج القانون 09/84 والمؤرخ في 14 فيفري 1984، والمتعلق بالتنظيم الإقليمي للبلاد، أصبحت ميله ولاية تظم اثنين وثلاثين بلدية وثلاث عشرة دائرة. وهكذا أصبحت منطقة ميله ولاية من ولايات الجزائر تحدها قسنطينة من الشرق، وولاية جيجل من الشمال، وولاية سطيف من الغرب، وولاية أم البواقي وباتنة من الجنوب⁴(ملحق رقم: 02)، بمساحة تقدر بحوالي 34076 كلم²، ومن أهم المعالم التي تشتهر بها ولاية ميله مايلي:

1-ميلة : وتشتهر بما يلي:

المرجع نفسه، ص 48. ¹

المرجع نفسه،الصفحة نفسها. ²

علي الكافي: **ولايات الكفاح**، وزارة الأخبار،، تونس، ط1، 1961، ص 55. ³

⁴عبد الكريم بوصفصاف: مرجع سابق، ص 64.

- ميلة القديمة أثار ومواقع رومانية
- مسجد سيدي غانم (أثر إسلامي)
- المسجد الكبير مبارك الملي
- السوق الأسبوعي
- حمام ولاد بوحامة المعدني
- مقبرة مسيحية

2- فرجيوة:

- السجن الأحمر - قصر الأغا
- منابع وحمامات معدنية أهمها (حمام ولاد عاشور، حمام بني قشة)
- أثار رومانية ببلدية يحي بني قشة.

3- سيدي خليفة:

- زاوية دار الشيخ
- مكتبة تتضمن أكثر من 600 مخطوط بالزاوية.

4- القرارم:

- سد بني هارون
- جسر وادي الديب يمتد فوق السد
- غابة تادرار ثاني أكبر غابة في ميلة
- مركز تعذيب للاحتلال إبان حرب التحرير
- قلعة طومة (أثار رومانية)
- حمام بني هارون المعدني

5- أولاد خلوف:

- آثار رومانية
- مغارات

6- تاجنانت:

- السوق الأسبوعي للجملة (سوق وطني)

7- شلغوم العيد:

- مرافق سياحية (فندق الرمال، نزل سيدي بوزيد، مركب زقط السياحي).

8- وادي العثمانية:

- سد قروز
- منابع وحمامات معدنية (حمام اشفاء ومنبع قروز)
- آثار رومانية ومغارات بجبل عقاب
- السوق الأسبوعي للماشية.

من خلال هذه اللوحة الموجزة في تاريخ مدينة ميله ينكشف لنا أن هذه المدينة موطن ضارب بجذوره في التاريخ الإنساني القديم، تعاقبت عليها حضارات متعددة، مما جعلها تمزج العديد من الآثار والتي تعود إلى عهود مختلفة

ويبقى الجهد أمام عراقه مدينة تجاوز عمرها آلاف السنين قاصرا على حصرها مهما أوتي من العرفان، لأن التوغل في تاريخ مدينة عريقة كميلة يحتاج الجهد الكبير.

وهكذا من خلال بعض المصادر التاريخية القديمة، تمكنا من إعطاء لمحة عن تاريخ ميله، والآن ننتقل إلى نوع آخر من المصادر وهو كتب الرحلات والتي ساهمت بدورها في إعطاء صورة حية عن ميله، وذلك من خلال المشاهدات والأوصاف التي قدمها لنا هؤلاء الرحالة حول المدينة.

الفصل الأول

أولاً: مفهوم الرحلة

ثانياً: الرحلة أنواعها ودوافعها

ثالثاً: مفهوم أدب الرحلة وعلاقته بالجغرافيا الوصفية والأدب الجغرافي

رابعاً: قيمة أدب الرحلة والخصائص المميزة للمضمون.

الفصل الأول:

تاريخ الانسان متصل بالرحلة منذ قديم العصور، وأول الرحل كانت من بساتين الجنة إلى الأرض ولهذه الرحلات أسباب مختلفة لتحقيق أهداف معينة، سواء أكانت مادية أم معنوية، وأثناءها كان الرحالة ينقل لنا كل ما رآه وسمعه وشعر به في رحلته، فهو بذلك مثل دور الناقل، في حين تعد الرحلة سجلا لتلك المظاهر.

ولقد اختلفت من شخص إلى آخر، كما أن تأثيراتها واضحة على القارئ كأنه يرى هذه الأشياء رأي العين، ويحسب نفسه مرافقا للرحالة نتيجة لأسلوبه المشوق الذي ينتهجه في نقله لتلك المظاهر.

أولاً: مفهوم الرحلة

1/ لغة:

نالت مادة "رحل" اهتماما كبيرا في المعاجم اللغوية، باعتبارها مادة متداولة نابغة من واقع البيئة العربية، جاء في تاج العروس: "ارتحل القوم عن المكان ارتحالا" إذا انتقلوا كترحلوا، واسم الرُّحْلة بالضَّمِّ والكسر، ويقال: إنه لذو رحلة إلى الملوك، ورُحْلة حكاة اللحياني، أي ارتحل.

والرحلة بالكسر: الارتحال، للتمييز يقال: دَنَتْ رحلتنا، ومنه قوله تعالى: « رحلة الشتاء والصيف » ، وبالضم: الوجه الذي تقصده، وتريده، وتأخذ فيه، يقال: أنتم رُحلتني، أي الذين أرتحل إليهم، ورحل عن المكان، كمنع، يَرْحَلُ رحلاً: انتقل وسار¹، وبنفس المعنى جاء في قاموس لسان العرب "وارتحل البعير رحلة: سار ورحل عن المكان يَرْحَلُ، وهو راحل من قوم رُحَل، انتقل والترَّحُل والارتحال: الانتقال، وهو الرُّحْلة والرُّحْلة، والرُّحْلة: اسم للارتحال للمسير"²، وقد تناول أيضا كتاب "العين" مادة "رحل" بمعنى " ارتحل البعير رُحْلة أي سار

¹ محمد مرتضى الحسيني الزبيدي: تاج العروس، ج2، تحقيق عبد الفتاح الحلو، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، د ط، 1997، ص 61 .

² ابن منظور الاثري المصري: مصدر سابق، ص 1610، 1611.

فمضى، ثم جرى في المنطق حتى يقال: ارتحل القوم، والرحيل: اسم الارتحال للمسير¹، فجاءت الرحلة بمعنى المسير والانتقال والوجهة أو المقصد الذي يراد السير إليه، والرحال هو الشخص المتنقل من مكان لآخر.

2/ اصطلاحا:

نظرا لكون الانسان اجتماعيا بطبعه، فإن الرحلة بدورها رمز للتواصل بين الأفراد والمجتمعات، وسجل لإثراء المعارف وتعميق المفاهيم، وإدراك لما يجري في المجتمعات من تنوع واختلاف، ولأهمية الرحلة في حياة الانسان أخذت النصيب الكبير من الشرح والتفصيل من طرف الأدباء.

فقد عرفها صلاح الدين الشامي بأنها: "إنجاز أو فعل فردي أو جماعي لما يعنيه اختراق حاجز المسافة، وإسقاط الفاصل المعين بين المكان والمكان الآخر، ويتأتى هذا الإنجاز من أجل هدف معين، ويجاوب هذا الهدف إرادة الانسان، وحركة الحياة على الأرض بشكل مباشر أو غير مباشر (...). وقد تكون الرحلة هواية تشبع حاجة الانسان وترضيته، وقد تكون احترافا يخدم حاجة الإنسان ويشبعها ولكنها تكون - في الحالتين - استجابة مباشرة لحوافز ودوافع محددة، تدعو بكل إلحاح للحركة والتنقل"² إذا فالرحلة لا تكون إلا إذا كان هناك دافع معين، سواء كان ذلك الدافع ذاتيا يرتبط بالرحلة فقط، أو يتعلق بشؤون الأمة عامة.

كما عرفها أيضا حسين محمد فهيم بأنها: "هي نوع من الحركة، وهي أيضا مخالطة للناس والأقوام، وهنا تبرز قيمة الرحلات كمصدر لوصف الثقافات الإنسانية، ولرصد بعض جوانب الناس اليومية في مجتمع معين، خلال فترة زمنية محددة (...). كما تصف الكثير من

¹ أحمد الفراهيدي: مصدر سابق، ص 106.

² ناصر عبد الرازق المواقفي: الرحلة في الأدب العربي (حتى نهاية القرن الرابع هجري) كلية الآداب، جامعة القاهرة، ص

عناصر ثقافة البلدان التي ذهبوا إليها، وأحوال الشعوب التي اختلطوا بها" ¹ لا بد أن يكون في الرحلة انتقال وحركة حتى تكون هناك مخالطة للتعرف على أحوال الناس.

أما فالح الكيلاني فقد عرفها بقوله: " الرحلة ما هي إلا جزء من حركة الحياة على الأرض، وقد لا تتجاوز مسافة قصيرة، وقد تمتد وتطول حتى تغطي أطول المسافات بين المكان والمكان الآخر" ²

إذا من خلال إبرازنا لمفهوم الرحلة لغة واصطلاحاً نجد أن جميعها تتفق على أن الرحلة نوع من الحركة، والشخص الذي يقوم بها لا بد أن يتحرك من مكان إلى مكان آخر، وبذلك يحقق فائدة وهذا ما أشار إليه المسعودي في قوله: " ليس من لزم جهة وطنه وقنع بما نمي إليه من الأخبار عن إقليمية كمن قسّم عمره على قطع الأقطار، ووزع أيامه بين ثقافات الأسفار واستخراج كل دقيق من معدنه، وإنارة كل نفيس من مكمّنه" ³.

وتبقى الرحلة بذلك أعم من السفر وأشمّل لأنه في السفر تقطع مسافات معينة، أما الرحلة فتجوب كل المسافات.

3/ الرحلة في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة:

جاء ذكر الرحلة في القرآن الكريم والسنة النبوية، لما لها من فوائد كثيرة تعود على الإنسان في حياته اليومية، ولقد وردت بألفاظ مختلفة، لكن ذات معنى واحد، وهي تنقل الشخص من مكان إلى آخر، لذلك أولها الإسلام عناية كبيرة، وقد جسد ذلك في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة:

¹ حسين محمد فهميم: أدب الرحلات، عالم المعرفة، الكويت، د ط، 1989، ص 15.

² جمال الدين فالح الكيلاني: *الرحلات والرحالة في التاريخ الإسلامي* - دراسة في مصادر التاريخ الإسلامي الوسيط - دار الزنبقة للطباعة والنشر، القاهرة، د ط، 2014، ص 39.

³ المسعودي علي بن الحسن: *مروج الذهب ومعادن الجوهر*، ج 1، تقديم محمد السويدي، موفق للنشر، الجزائر، ط 1، 1989، ص 3.

أ/ في القرآن الكريم:

لم يهمل القرآن الكريم ذكر الرحلة، ولقد وردت لفظة رحلة في القرآن الكريم بلفظ صريح مرة واحدة في قوله تعالى في سورة قريش: «**لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ (1) إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ (2) فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ (3) الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَأَمَّنَّهُمْ مِنْ خَوْفٍ (4)**»¹ وهذه السورة تتحدث عن رحلة قريش التجارية المنتظمة بحسب الفصول ففي الشتاء يرحلون إلى الشام أما في الصيف فإلى اليمن.

ذكرنا سابقا إن لفظة رحلة وردت في القرآن الكريم بألفاظ مختلفة ولكنها ذات معنى واحد، فلقد وردت بلفظ السفر وهذا في قوله تعالى: «**وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا²**»، كما وردت أيضا بلفظ السير في الآيتين الكريمتين في قوله تعالى: «**أَوْ لَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ كِتَابَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ³**» وقوله أيضا: «**فَإِذَا خَلَبْتُمْ مِنْ فَئِجَتِهِمْ تُسَيِّرُوا فِي الْأَرْضِ فَإِنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ كِتَابَةُ الْمُكَذِبِينَ⁴**» وقد جاءت أيضا بلفظ المشي وذلك في قوله تعالى: «**هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ حَلُولًا فَامْشُوا فِيهَا بِحَبْلٍ⁵**» كما روت أيضا بلفظ السباح في قوله تعالى: «**فَسَبِّحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَانصُرُوا أَنْكُرًا تُحِبُّونَ مُعْجَبِينَ اللَّهُ وَأَنْ اللَّهُ مُفْرِي الْكَافِرِينَ⁶**»

هذه بعض الآيات التي ورد فيها معنى الرحلة والتي شملت نطاقا واسعا من حيث أهميتها في القرآن الكريم لما فيها من مصالح ومنافع تخدم الإنسان، ومن بينها طلب العلم، فقد شجع الله عز وجل في هذه الآية الكريمة على الترحال في سبيل طلب العلم في قوله تعالى: «**وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا ذَهَبَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ**

¹ سورة قريش، الآية من 1-4.

² سورة البقرة، الآية 283.

³ سورة الروم، الآية 9.

⁴ سورة آل عمران، الآية: 137.

⁵ سورة الملك، الآية 15.

⁶ سورة التوبة، الآية 2.

وَلْيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ¹ ، ومن بين هذا النوع من الرحلة أيضا التي ورد ذكرها في القرآن الكريم، رحلة سيدنا موسى عليه السلام مع الخضر عليه السلام ليتعلم منه، بالإضافة إلى دعوته تعالى للإنسان ليكتشف كل ما حوله ولمعرفة عظمتة قوله تعالى: **« وَسَخَّرْنَا لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْتَبِرُونَ »**² بالإضافة إلى طلب العلم شرع الله تعالى أيضا الهجرة وتعددت مقاصدها في قوله تعالى **« وَمَنْ يَهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مَرَاتِمًا كَثِيرَةً وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مَهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا »**³ كذلك حث الله تعالى على الحج وذلك مع الاستطاعة في قوله تعالى: **« وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ »**⁴

إذا فالقرآن الكريم أولى الرحلة عناية بالغة وشرح أدق تفاصيلها وجميع مقاصدها لأنه " لا يخفى أن الله جلت حكمته لم يجمع منافع الدنيا في أرض واحدة، بل فرق المنافع والجهات، وأحوج بعضها إلى بعض، ولذلك كانت الأسفار مما تزيدنا علما بقدرة الله وحكمته وتدعوا إلى شكر نعمته، والمسافر يجمع العجائب، ويكسب التجارب، ويجلب المكاسب، وفي القرآن آيات كثيرة تنبه على فضيلة السفر وتدعو إليه"⁵ وهذه التنبيهات تشتمل على جميع دوافع الرحلة كما ذكرها الله عز وجل، ومن بين هذه التنبيهات قوله تعالى: **« يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ »**⁶ من خلال هذه الآية الكريمة فالله عز وجل ينبه الناس إلى التعارف من أجل الاطلاع على أحوال هذه الشعوب والقبايل، فهذا التعارف لا يكون إلا عن طريق الرحلة، وسبحانه جعل في الإنسان فطرة السعي للتعارف واللقاء.

¹ سورة التوبة الآية 122.

² سورة الجاثية، الآية 13.

³ سورة النساء، الآية 100.

⁴ سورة الحج، الآية 27.

⁵ حسين محمد فهميم: مرجع سابق، ص 82.

⁶ 13. سورة الحجرات، الآية

ب/ في السنة النبوية:

مثلما اهتم القرآن الكريم بالرحلة فإن السنة النبوية كان لها نصيب كبير في ذكرها وشرحها والحث عليها وذلك بتشجيع من الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين، ولقد اختلفت مقاصدها كذلك، أولها السعي إلى تبليغ ونشر الدعوة المحمدية، الحث على طلب العلم والجهاد وغيرها.

ونستشهد في ذلك بقوله صلى الله عليه وسلم بالنسبة للسعي في طلب العلم والتحضير له: " من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضاء لطالب العلم، وإنه ليستغفر للعالم من في السماء والأرض، وأن أفضل العالم على العابد، وأن العلماء ورثة الأنبياء"¹، فمكانة طالب العلم إذا تفوق مكانة العابد لأنه بالعلم تتقن العبادة.

و في حديث آخر عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " أفضل الصدقة أن يتعلم المرء المسلم علما، ثم يعلمه أخاه المسلم."² إذا فالرسول صلى الله عليه وسلم كان يحث أصحابه ويشجعهم على طلب العلم، ونشر الإسلام، والتأمل في خلق الله تعالى وقدرته في هذا الكون والتدبر في آياته عز وجل وهذا إنما يكون عن طريق الرحلة التي تفتح آفاق للمسلمين وغيرهم في تحقيق مقاصدهم.

نجد من كل ما سبق أن الرحلة في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة قد ارتبطت بدوافع نفعية كثيرة مثل التجارة والبحث في سبل آمنة للعيش أو مشاهدة آيات الله في الأرض، والتدبر فيها ثم تبليغها للآخرين ممن حرموا نعمة مشاهدتها، وكذلك القيام بالحج والعمرة وطلب العلم من منابعه وأصوله في سبيل الله ونصرة دينه"³، فلعل عناية ديننا الحنيف بالرحلة والحث عليها إنما لفائدتها ومنافعها التي تعود على الإنسان بصفة خاصة

الترمذي: الجامع الصحيح، ج5، دار الكتب العلمية، د ط، 1992، ص 29. ¹

ابن ماجة: السنن، ج2، دار الفكر، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، د ط، د ت، ص 96. ²

³ سميرة أنساعد: الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري، دراسة في النشأة والتطور والبنية، دار الهدى للنشر، الجزائر، د ط، 2009، ص 20.

وعلى الأمة عامة، فأرض الله واسعة وخيراتها لا تنتهي وما على الإنسان إلا البحث فيها لاكتشاف كنوزها" والمسافر يجمع العجائب ويكسب التجارب ويجلب المكاسب"¹، لأنها تعود عليه بالنفع وعلى غيره.

محمد السنوسي: *الرحلة الحجازية*، ج 1، تحقيق على الشنوفي، الشركة التونسية للتوزيع، د ط، 1976، ص 45.¹

ثانياً: الرحلة أنواعها ودوافعها

1/ أنواع الرحلات:

الرحلة سلوك إنساني لها خصائصها ومنافعها المختلفة سواء مادية أو معنوية، فتتعدد هذه الرحلات وتعددت دوافعها، استغلها الإنسان في تحسين حياته المعيشية والفكرية والابداعية وغيرها... وهناك نماذج عدة عن أنواع الرحلة وهي تنقسم إلى قسمين: رحلات واقعية وأخرى خيالية.

أ/ الرحلات الواقعية:

وهي رحلات فعلية يقوم بها الرحالة لغرض من الأغراض ولها قيم عظيمة، فهي تسجل الحقائق من جميع جوانبها التاريخية أو الاقتصادية أو الثقافية أو الجغرافية.

ومن بين هذه الرحلات الفعلية، الرحلة الدينية: وتقع ما بين هجرة وجهاد وحج، كذلك الرحلة العلمية، وتشتمل على طلب العلم لأن من سبل التعلم هو الارتحال، فقد شدّ الرحال الكثير من المسلمين باتجاهات مختلفة طلباً للعلم، وأصبح الارتحال أشبه بالضرورة وهذا ما أشار إليه فالح الكيلاني في قوله: " الرحلة في طلب العلم ضرورة من لوازم طريق العلماء ومنهجهم في التحصيل العلمي، فكان طالب العلم يأخذ من شيوخ بلده، ثم يرحل إلى البلدان الأخرى ليأخذ عن علمائها وللاستفادة منهم"¹

الرحلة التجارية فقد ساهمت في المعرفة، وذلك عن طريق تدوين أحوال سكان البلاد، وأسس اقتصادهم، ومنابع ثروتهم ومعارفهم.

ولقد تعددت أغراض التجارة واختلفت دوافعها" فهي عملية تبادل السلع (استيراد وتصدير) تسعى من خلالها المجتمعات إلى بيع ما يفيض عن حاجاتهم، وشراء ما ينقصهم داخل الأسواق المحلية والعالمية"²

¹ جمال الدين فالح الكيلاني، مرجع سابق، ص 49.

² ابن خلدون: المقدمة، ج2، دار الكتاب اللبناني، د ط، بيروت، 1960، ص 47.

أما الرحلة السياسية والتي تخدم الحكام والأمراء بصفة خاصة، لأنهم في حاجة إلى الاطلاع على أحوال البلدان والشعوب الأخرى، وفي هذا الصدد يقول محمد فهميم: "لقد اقتضت ضرورة الحكم والإدارة وتقدير الثروات، وحجم الضرائب أن يكلف الحكام الأشخاص بالقيام برحلات تفقدية لجمع البيانات والحقائق وتقديم التقارير."¹

أما الرحلة الجغرافية، والتي نالت نصيباً عند الجغرافيين الذين اعتمدوا على الوصف والمشاهدة والملاحظة الدقيقة، وهذا النوع اهتم بتدوين عادات الأمم والشعوب وطباعتها وما يوجد بديارها من آثار وعجائب، وما يدور على ألسنة سكانها من أساطير وخرافات.²

أما الرحلة المغامراتية: يتمثل غرضها في الرغبة في معرفة المجهول والاطلاع على الأقطار والأمصار، وجمع المعلومات القائمة على المشاهدة والتحقق الشخصي، مما يزيد من قيمة المعلومات التي يوردونها.³ لأن من مميزات هذا النوع هو حب الاكتشاف رغم المشاق التي يواجهها الرحالة.

ب/ الرحلات الخيالية

غالبا ما يطلق الكاتب عنان تفكيره لينقله بعيدا عن واقعه وعالمه إلى أماكن أخرى، وأزمنة متباعدة، والرحلة الخيالية تقوم بإعادة تصوير عناصر ثقافية سالفة، أو جوانب الحياة الاجتماعية لأقوام وبلدان لم تعد قائمة، وهي تطرح قضايا إنسانية تتعلق بالفكر السائد والشغل الشاغل للناس صفوتهم وعامتهم وفي كل زمان ومكان، ومثال ذلك رحلة المويلحي في فترة من الزمن، فيما سماه حديث عيسى بن هشام. وهذه الرحلة هدفها التسلية والترفيه عن النفس وإعطاء العبر.

¹ حسين محمد فهميم: مرجع سابق، ص 81.

² عواطف محمد يوسف نواب: *الرحلات المغربية والأندلسية، دراسة تحليلية مقارنة*، مكتبة الملك فهد الوطنية، د ط، الرياض، 1996، ص 47.

³ جمال الدين فالح الكيلاني، ص 48-49.

وهذا النوع من الرحلة يضم الرحلة الأسطورية، وهي بدورها ظهرت نتيجة تساؤلات وجودية، وهي تعتبر بداية طفولة العقل البشري في تعبيره عن الحقائق وتفسيره لظواهر الكون.

فمن خلال أنواع الرحلات التي ذكرناها: الواقعية والخالية، يتضح لنا تباين فيما بينها بسبب اختلاف المقاصد، فنتجت من خلالها ثقافة راقية، رفعت الإنسان فكريا وعلميا.

2/ دوافع الرحلة:

بعدما تحدثنا عن أنواع الرحلة سوف نعرض على دوافعها التي تعددت واختلفت من شخص إلى آخر ومن قوم لقوم، ومن عهد إلى عهد، وهي لا تخرج عن كونها:

أ/ دوافع دينية:

وهي من العوامل الأساسية التي خصها الرحالة عناية فائقة ومن بينها الحج إلى بيت الله عز وجل " وزيارة قبر الرسول عليه الصلاة والسلام، والمنارات الدينية الأخرى، كالمسجد الأقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين، وقبور الأنبياء والصحابة والأولياء في كل من بغداد ودمشق والقاهرة وغيرها..."¹

بإضافة الى الحج الهجرة، وأولها هجرة بعض المسلمين إلى الحبشة فرارا بدينهم من اضطهاد قريش، والهجرة الثانية هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم، وأصحابه رضي الله عنهم إلى المدينة.²

¹ نوال عبد الرحمان الشوابكة: أدب الرحلة الأندلسية والمغربية حتى نهاية القرن التاسع هجري، دار المأمون للنشر والتوزيع، عمان، دط، 2008، ص 27.

² فؤاد قنديل، أدب الرحلة في التراث العربي، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، ط 2، 2002، ص 19.

ب/ دوافع علمية أو تعليمية:

قال الله تعالى: " **وقل ربي زدني علما**"¹ من خلال هذه الآية الكريمة يلاحظ أن الإسلام حث المسلمين على طلب العلم والتعلم وذلك "بغرض الاستزادة من العلم في منطقة أخرى من العالم، ذاع صيت أبنائها في مجالات العلوم كالفقه والطب والهندسة، والعمارة وغيرها"²

ويؤكد ابن خلدون في مقدمته قائلاً: "الرحلة لا بد منها في طلب العلم، ولاكتساب الفوائد والكمال بلقاء المشايخ، ومباشرة الرجال."³ فالرحلة العلمية حققت عدة فوائد في حياة الرحالة فأثر بدوره على محيطه وساهم في نقل مختلف العلوم والتجارب، كما أن هذا الدافع لا يخرج عن الدافع الديني.

ج/ دوافع تجارية:

كان من بين أهداف الرحلة قديما السعي وراء التجارة، وبذلك كانت من العوامل التي تشجع على الرحلات وتنشطها إلى حد كبير، وقد ذكر القرآن الكريم رحلتي الشتاء و الصيف في سورة قريش، و إنما هذا راجع لأهميتها على الإنسان في كسب لقمة العيش، فدفعت بذلك الرحالة " إلى تدوين رحلته حتى يعين القارئ على معرفة طرق التجارة البرية والبحرية، لعل أول ما ارتبطت به الرحلات علم تقويم البلدان و المسالك و الممالك، لوصف الطرق المناخ و العديد من الأمور الأخرى، و ذلك لمعرفة الطرق إلى مكة للقيام بفريضة الحج و تسهيل عملية التجارة في مختلف البلدان والبقاع، و كانت التجارة في موسم الحج ضرورة من ضرورات الحاج و المسافرين، إذ لا بد من الحصول على موارد مالية لتغطية نفقات الرحلة"⁴. وبذلك نجد أن التجارة ساعدت على رقي الحضارة الإسلامية، و هذا لطبيعة الدين الإسلامي الذي يتمسك بسيادته.

¹ سورة طه، الآية 114.

² فؤاد قنديل، مرجع السابق، ص 19.

³ ابن خلدون: مرجع سابق، ص 1045.

⁴ نوال عبد الرحمان الشوابكة: مرجع سابق، ص 47.

هـ / دوافع سياسية:

وتسمى كذلك الرحلات الإدارية أو السفارة، ولقد ظهرت نتيجة لاتساع رقعة الدولة العربية الإسلامية، حيث حتم على الخلفاء والحكام المسلمين إرسال الوفود والسفارات إلى البلدان المجاورة لإقامة علاقات معها " وتبادل الرأي وتوطيد العلاقات أو لمناقشة شؤون الحرب والسلام، أو تمهيدا لفتح أو غزو " ¹ كما كانت هناك رحلات ذات دوافع دينية وعلمية لكن للضرورة قد تصبح هذه الرحلة رسمية فابن بطوطة مثلا كانت رحلته دينية بغرض أداء مناسك الحج ولكن رغبته زادت في مواصلة رحلته بعد أداء فريضة الحج ليختاره سلطان الهند كسفير له في الصين فيقول " بعث إلي السلطان خيلا مسرجة وجواري وغلمانا وثيابا ونفقة فلبست ثيابه وقصدته ... ولما وصلت إلى السلطان زاد في إكرامي على ما كنت أعهده وقال لي : إنما بعثتك لتتوجه عني رسولا إلى ملك الصين فإني أعلم حبك للأسفار والجلولان، فجهزني بما أحتاج له...² وهذا النوع من الرحلات زاد من إمكانية الرحالة وقدرتهم في الاطلاع على جميع ما يتطلعون إليه.

هـ / دوافع سياحية :

وهذا الدافع قد ينشأ نتيجة للملل الناجم عن الحياة الروتينية التي يحيها الإنسان بالإضافة إلى حب التنقل وتغيير الأجواء والمناظر، ومعرفة المجهول من خلق البشر والطبيعة أو لإراحة النفس والتنفيس عنها، و قد تكون للتعرف على المعالم الشهيرة كالأثار والمنارات والأبراج أو الكهوف و الغرائب و العجائب³.

¹ فؤاد قنديل: مرجع سابق، ص20.

² ابن بطوطة محمد ابن عبد الله: رحلة ابن بطوطة: تحفة النظر في غرائب الأمصار و عجائب الأسفار ج1، تقديم محمد السويدي، موقع للنشر، الجزائر، د ط، 1989، ص7.

³ فؤاد قنديل، مرجع سابق، ص20.

و/ دوافع صحية:

و من بين أهم دوافع الرحلة، السفر للعلاج أو الاستشفاء، أو إراحة النفس من ألوان العناء و تخليصها من الكدر، كالارتحال إلى المناطق الريفية و نحوها، و قد يكون هرباً من الوباء و الطاعون أو التلوث.

من خلال ما تقدم للرحلة ندرك أن دوافع الرحلة دوافع متعددة و متنوعة، و قد يكون للرحلة الواحدة أكثر من دافع (ديني، تجاري، علمي، صحي، إداري...)، كما أشرنا إليه ونوع الرحلة يتحدد من خلال الدافع بحد ذاته، إذا فالإنسان اجتهد لكي يبتكر الوسائل التي تساعد على الرحلة و الانتفاع بها، فالرحلة هي سر وحدة البشر، و هي السبيل في رقي الحضارة وتطورها.

ثالثاً: مفهوم أدب الرحلة وعلاقته بالجغرافيا الوصفية والأدب الجغرافي

أ/ مفهوم أدب الرحلة:

بعد تحدثنا عن مفهوم الرحلة لغة واصطلاحاً وأنواعها ودوافعها نتطرق إلى مفهوم أدب الرحلة على الرغم من تعدد المفاهيم، كونه فناً تتجاذبه علوم شتى " إذ تتوفر فيه مادة وفيرة مما يهتم المؤرخ، والجغرافيا وعلماء الاجتماع والاقتصاد ومؤرخي الآداب والديانات والأساطير، فالرحلات منابع ثروة لمختلف العلوم"¹

وأدب الرحلة كما ورد في معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب فهو: "مجموعة الآثار الأدبية التي تتناول انطباعات المؤلف عن رحلاته في بلاد مختلفة، وقد يتعرض لوصف ما يراه من عادات وسلوك وأخلاق، وتسجيل دقيق للمناظر الطبيعية التي يشاهدها، أو يسرد مراحل رحلته، مرحلة بمرحلة أو يجمع كل هذا في آن واحد"²

فالرحلة بضمها جملة من العلوم والمعارف المتعددة، أتاحت لكل باحث أن يجد جل ما يبحث عنه فيها، لأنها نوع قائم بذاته وأساس "هذا النوع هو شخص المؤلف وأنيته، ووصفه ما يعرض له في سفره وذكر الاحساسات التي يشعر بها، مع اطلاعنا على أحوال البلاد التي يزورها وعلى عوائد أهلها وأخلاقهم وأفكارهم"³، إذا فالرحلة ترتبط بالعناصر الذاتية التي تتجلى في المشاعر والوجدان، والمواقف من الطبيعة والأشخاص، كما قد تتفاعل الذات مع الأحداث وفقاً لوجهة نظرها.

فأدب الرحلات هو ما يوصف بأدب الرحلات الواقعية، وهي الرحلة التي يقوم بها رجال إلى بلد من بلاد العالم، ويصفها ويسجل كل مشاهداته وانطباعاته بدرجة من الدقة

¹ حسني محمود حسني: أدب الرحلة عند العرب، دار الأندلس، بيروت، لبنان، ط 2، 1986، ص6.

² مجدي وهبة، كامل المهندس: معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، ط 2، بيروت، 1984، ص17.

³ عبد الرازق الموافي: مرجع سابق، ص 38.

والصدق وجمال الأسلوب، وهناك محاولات قام بها الباحثون والنقاد لإعطاء هذا الفن مفهوما دقيقا، فاستخلصوا بدورهم جملة من السمات التي ينبغي توفرها في الرحلة من ذلك:

- توفر القصصية أي قصصية السفر والكتابة عنه.¹
- يقوم أدب الرحلة بين رحلة واقعية في زمان ومكان محددين.
- يقوم بها رحالة قد تمكن حب الرحلة منه، فيصف انطباعاته ومشاهداته.
- يمزج في وصفه بين شخص الرحال من ناحية، والرحلة كموضوع من ناحية أخرى.
- يستخدم النثر المعبر دون تكلف وإسراف² بمعنى " هو ذلك النثر الذي يصف رحلة واقعية ما، قام بها رحالة متمكن من لغته، متميز بأسلوبه وسعة خياله، يتمتع بقدرته على التأثير في المتلقي"³

فالرحلة إذا هو فن قائم بذاته له أصوله وقواعده التي تعمل بالدرجة الأولى على التأثير في المتلقي من جميع الميادين لتزداد بذلك معارفه.

ومن جل ما تقدم عن أدبية الرحلة نجد حامد النساج يؤكد على أدبيتها وذلك لأن الباحث من خلال تجوله بين مؤلفات هذا الفن بإمكانه " أن يظفر بمئات من الكتب في أدب الرحلات، أي ذلك النثر الذي يتخذ من الرحلة موضوعا له، وبمعنى آخر الرحلة عندما تكتب بشكل أدبي ثري متميز بلغة خاصة، ومن خلال تصور بناء فني له ملامحه وسماته المستقلة."⁴ بمعنى أن الرحلة لون أدبي ذي خصوصية تميزه عن غيره من الألوان الأدبية النثرية فهو يمثل " الشكل الوحيد الذي استطاع أن يكون في أكثر من موقع وقبض على المتخيل الجانح في فداحة العجيب والغريب، وعلى الواقعي الهش والصلب في آن واحد

¹ عبدالرحيم مودن: *أدبية الرحلة*، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ط 1، دار البيضاء، 1996، ص 29-30.

² عبد الرزاق المواقف: مرجع سابق، ص 40-41.

³ المرجع نفسه، ص 40.

⁴ سيد حامد النساج: منشورات كتب الرحلة (قديما وحديثا) مكتبة غريب، د ط، دت، ص 11.

الموسومة بالدهشة والتعجب، ويرصد بشكل واضح أو متلبس صورة الأنا الجمعية، أو الذات الفردية من جهة، وصورة الآخر من جهة ثانية¹

فالرحلة إذا تحيط بكل ما هو غريب أو نادر وعجيب أو مفيد، فهي تزخر بمعارف يستغريها الرحال ويتشوق إليه القارئ.

بعد أن حددنا مفهوم أدب الرحلة والأسس التي تقوم عليها نبرز العلاقة بين هذا المصطلح (أدب الرحلة) ومصطلح الأدب الجغرافي، والجغرافية الوصفية من أجل معرفة الروابط المشتركة والتباين الموجود بينهما.

ب/ الأدب الجغرافي:

هو مصطلح يقدم الأدب باعتباره الأصل، ثم تأتي الجغرافيا كفرع، إنه أدب يتناول موضوعا جغرافيا، ويتبع النهج العلمي، ولكن بأسلوب أدبي، بحيث لا يطغى أحدهما على الآخر، وبحيث تظل شخصية الرحال بين أن وآخر، لتقيم نوع من التوازن بين الموضوع والذات، وبحيث يتعلم القارئ ويستمتع في آن².

إذا فهذا النوع من الأدب موضوعه جغرافي وهو دراسة ظاهرة سطح الأرض الطبيعية والبشرية، لهذا فهو يمزج " بين الغاية العلمية من كشف واكتشاف لمظاهر الكون والانسان، وبين الغاية الأدبية المجسدة في مظاهر المتخيل من الحكايات والأساطير والمرويات المختلفة."³

¹ شعيب حليفي: الرحالة العرب والمسلمون: اكتشاف الآخر المغرب منطلقا ومؤلّا (أعمال ندوة) الرحلة المغربية إلى أوروبا(النص والصورة)، وزارة الثقافة، ط 1، المملكة المغربية، 2003، ص 103.

² عبد الرازق الموفي: مرجع سابق، ص 37.

³ عبد الرحمان مودن، مرجع سابق، ص 61.

ج/ الجغرافيا الوصفية:

وقد عنيت بوصف البر والبحر والأمم والبلدان، بأدق التفاصيل، كما تسجل المعلومات الجغرافية تسجيلاً أميناً، بالإضافة إلى أنها " تهدف إلى الوصف الجغرافي العلمي أساساً، مستخدمة منهج العلم وأسلوبه، دون أن يكون لهذا الأسلوب خصائص أدبية (...). كل التركيز على توصيل المعلومات توصيلاً مباشراً لا تراعي فيه النواحي الجمالية أو الذاتية"¹ أي أنها تسعى إلى تقديم المعلومات الجغرافية تقديماً علمياً بطريقة موضوعية تختفي فيها العناصر الجمالية (الأدبية) كما تختفي فيه العناصر الذاتية.

بعد ما تحدثنا عن مفهوم أدب الرحلة الأدب الجغرافي، والجغرافيا الوصفية، هناك إشارات نبه إليها عبد الرزاق الموفي، يمكن للدارس الاستعانة بها للتفريق بين هذه النصوص الرحلية، وهي كالآتي:²

- الطابع المعرفي كان قاسماً مشتركاً عند أصحاب "الجغرافيا الوصفية" ثم تلاه الطابعان: الشعبي والوثائقي.
- أن نصوص "الأدب الجغرافي" اشتركت في طوابع مضمونية ثلاثة، الطابع المعرفي، الطابع الشعبي، والطابع النقدي.
- أما أصحاب نصوص "أدب الرحلات" فقد تصدر الطابع المعرفي قائمة اهتمامهم، ثم تلاه الطابع الشعبي، فالنقدي، فالفكاهي، فالفردوي.
- أصحاب كتب الأدب الجغرافي، والجغرافيا الوصفية، اقتصروا على وصف مملكة الإسلام بعامة أو إقليم بعينه خاصة.
- بينما تعدى أصحاب كتب أدب الرحلات هذه الحدود وجاءت أغلب أوصافهم لأراضي وشعوب غير عربية أو إسلامية، مما يعني انفتاحاً، مستنيراً على العالم وإدراكاً حقيقياً لدور الرحلة والرحالة في التقريب بين الشعوب.

¹ عبد الرزاق الموفي، مرجع سابق، ص 36.

² المرجع نفسه، ص 13-16.

سيط

-

ر التدوين المكاني على نصوص الجغرافيا الوصفية وبنازعه التدوين الموضوعي والاستدعائي في حال نصوص الأدب الجغرافي وبشارك التدوين الزماني والمكاني في كل نصوص أدب الرحلات.

- إن الشخص الرحال يكاد يكون مختفيا في نصوص الجغرافيا الوصفية بينما يظهر على فترات متقطعة في حال الأدب الجغرافي.

أما في أدب الرحلات فحضوره دائم وفعال، وهذا الحضور هو الذي يكفل الوحدة الموضوعية للعمل، ويضفي عليه السمة الفنية، مما يجعله جديرا بالانضمام إلى حضيرة الأدب.

- البنية المحورية تسيطر على أغلب النصوص الجغرافيا الوصفية والأدب الجغرافي بينما العكس حادث في حال نصوص أدب الرحلات، إذ تسيطر البنية النمطية، ولا تترك إلا نصا واحدا، لبنية محورية، بينما لا تحظى البنيتان الانتقائيتان أو الفنية بنصوص مفردة.
- تسيطر البنية المحورية على أغلب نصوص الجغرافيا الوصفية والأدب الجغرافي لأن الجانب العلمي أكثر وضوحا فيها، في حين نجد العكس في أدب الرحلات، فإن البنية النمطية تناسبها لأنها تتبع خط سير الرحلة من لدن التفكير في انطلاقها وحتى عودتها.
- غلب على كتب الجغرافيا الوصفية النثر العلمي الخالص، بكل ماله من خصائص أهمها: السهولة، اليسر، عدم التكلف، أو عدم استخدام الخيال والقصد المباشر إلى الهدف.
- كما غلب على كتب الأدب الجغرافي النثر العلمي أيضا، ولكنه يزود ببعض اللمحات المنتمية للنثر الأدبي الفني، من استخدام المحسنات البديعية.
- أما أدب الرحلات فيستخدم النثر الأدبي الخالص الذي يميل إلى القص ويتبع خط الرحلة من لدن بدايتها حتى نهايتها.

- الجغرافيا الوصفية تهتم بالأسلوب باعتباره وسيلة فحسب، أما الأدب الجغرافي ظل موقفه مدبذب بين اعتبار الأسلوب وسيلة أو غاية في حين أدب الرحلات قد أولى الأسلوب اهتماما أكبر، فأصبح قريبا من الغاية.

بعد تحديدها للخصائص التي تميز كل مصطلح، يمكننا إدراك نوع النص إذا ما كان يصنف في الجغرافيا الوصفية أو الأدب الجغرافي أو أدب الرحلات فإذا "اختفت العناصر الأدبية والذاتية-أو ندرت- صنف النص على أنه جغرافيا وصفية، وإذا حاول الرحال أن يوازن بين الموضوع و الذات فغن عمله يصنف على أنه أدب جغرافي، أما إذا طغت العناصر الأدبية الذاتية فإن عمله يصنف على أنه "أدب الرحلة" يتبع خط سير الرحلة".¹

ورغم هذا الاختلاف الموجود بين هذه المصطلحات فإن هناك نقاطا تتشارك فيما بينها مثل: وصف البر، والبحر والأمم، والبلدان، وأحوال الناس وغيرها، وطريقة التدوين هي التي تصنف هذه النصوص بين الجغرافيا الوصفية، والأدب الجغرافي، وأدب الرحلة، وقد اتبع الرحالون طرق عدة في التدوين، يمكن تصنيفها وفق الآتي:²

أ/ رحلة كتبها أصحابها في أثناء الرحلة:

ويخضع تدوينها إلى التسلسل الذي سار عليه الرحالة، فيدون فيها الأحداث والمفاجآت التي تحصل وفق زمن ومكان حدوثها .

ب/ رحلة كتبت من المذكرات التي دونها أصحابها:

كان بعض الرحالين يلجؤون إلى تقييم الأمور المهمة التي مرت معهم، وأهم القضايا والفوائد التي أفادوا منها والأسانيد التي حصلوا عليها حتى لا ينسوها، وعندما كانوا يعودون إلى بلادهم، ويستقرون، كان واحد منهم يخرج هذه الملاحظات ويرتبها ويخرجها بعد مرور مدة تطول أو تقصر .

¹ ناصر عبد الرازق الموافي: مرجع سابق، ص 35.

² علي إبراهيم كردي: أدب الرحلة في المغرب والأندلس، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، ط 1، 2013، ص 14-

ج/ رحلة دونت من الذاكرة:

هذا الضرب من التدوين يتم بعد عودة الرحالة من رحلته، إذ يقوم إملاء رحلته من الذاكرة، من دون أن يعتمد أصولا أو ملاحظات مدونة عن رحلته.

مما لا شك فيه أن أحسن طريقة للتدوين هي التدوين الفوري، وذلك حتى يدون الرحال رحلته كاملة دون نقص.

والرحال حين شروعه في تدوين رحلته يجب أن يختار المنهج الذي يناسبه، والذي يساعده للوصول إلى القارئ والتأثير فيه، وأهم هذه المناهج:¹

- 1- **التدوين الزمني**: وهو من أكثر هذه المناهج استخداما، وأكثرها تنوعا داخليا، كما أنه أضبطها وأوثقها، يستلزم هذا المنهج تدوينا آتيا، يقسم الزمن إلى وحدات، وكلما كانت تلك الوحدات أكبر كان الحفاظ على وحدة العمل الفني أقرب ويمكن للتدوين الزمني أن لا يتخذ شكلا منتظما، وفوائد التدوين الزمني تكمن في جعل الرحلة وثيقة تاريخية معتمدة.
- 2- **التدوين المكاني**: وهو من الأنواع الشائعة عند الرحالة القدماء، إذ يتبع الرحال التسلسل الطبيعي للرحلة على أرض الواقع، وهو في وصفه للمكان يفضل أن يصفه وصفا ذاتيا، بالإضافة إلى تركيزه على موضوع بعينه في كل مكان يحل به الرحال: كالصناعة، أو المرأة (...).
- 3- **التدوين الموضوعي**: ويقوم على اختيار موضوعات بعينها، والانطلاق منها إلى وصف مكان أو شعب أو عدة أماكن أو شعوب، وقد يراعى في هذا الاختيار التسلسل الزمني والمكاني وقد لا يراعى ذلك، وقد يندرج تحت الموضوعات الأساسية المختارة موضوعات فرعية متعددة تتعلق بها وتنطلق منها.
- 4- **التدوين الانتقائي**: قد يحدث أن يقوم الرحالة برحلات عديدة، ويخص كل رحله بكتاب ثم يترأى له أن يدون خلاصة ما توصل إليه في كتاب واحد، فيعود

¹ عبد الرازق الموفى: مرجع سابق، ص 63-66.

لينتقي منها أفضل ما فيها، شرط أن يكون متجاوبا مع الهدف الجديد وقد ينتقي الرحال أسطورة أو حكاية أو واقعة أو تجربة من كل بلد زاره ويحكها في كتاب.

5- **التدوين الاستدعائي:** وفيه يعتمد الرحال على تداعي الأفكار وتواردها، فيبدأ بفكرة ملحة تستدعي فكرة، وقد يكون ذلك النهج اقرب على العشوائية نظرا لاعتماده على الذاكرة التي شحنت بنتاج الرحلة ولم تستطع تمييزه، فخرجته كيفما اتفق.

رابعاً: قيمة أدب الرحلة والخصائص المميزة للمضمون

أ/ قيمة أدب الرحلة:

يعتبر أدب الرحلة وعاء معرفياً يؤدي دور التواصل بين الأفراد والجماعات، وإثراء المعارف وتعميق المفاهيم، والاطلاع على ما يجري في المجتمعات من عادات وتقاليدهم وعقائد، وأهم ما يميزها من آثار ومظاهر العمران...

ونظراً لوجود تباين بين مؤلفات الرحالة على مر العصور، إذ هناك مؤلفات ذات طابع علمي، يعتمد على تصوير الواقع كما هو في المشاهدة ونقل الأحداث، مع انعدام الجانب الفني والبلاغي، في حين نجد بعض المؤلفات يرصد الواقع في نقل المشاهدات، إذ يحقق التأثير الوجداني والذي يسعى إلى التأثير في المتلقي غالباً من تسجيل الوقائع فقط، ولأدب الرحلة قيمتان عظيمتان وهما:

1/ القيمة العلمية:

لقد أسهم الرحالة في توفير معارف متنوعة مما تهتم المؤرخ وعلماء الاجتماع والاقتصاد والجغرافيا" لأنه وهو يطوي الأرض أثناء رحلته يغطي في نفس الوقت ملاحظته مظاهر مختلفة في الحياة يشاهدها أو يسمعا أحياناً وينقلها في رحلته"¹

ولعل أبرز دور قام به الرحال هو الخدمة التي قدمها لعلم الجغرافيا فهو عندما يدون مشاهداته الجغرافية على سطح الأرض، وعندما يصف الممالك والبلدان والأصقاع والأقاليم، والمدن والمسالك، ويتحدث عن المناخ والطبيعة، وعن ظاهرة توزيع السكان، فهو يعتبر مرجعاً أساسياً ومعيناً كبيراً للعالم الجغرافي"²

وكما أسهمت الرحلة في خدمة علم الجغرافيا، فقد أسهمت أيضاً في توفير معارف تاريخية واجتماعية وثقافية عظيمة القيمة، وذلك من خلال الحديث عن عادات الأمم

¹ حسين محمود حسين: مرجع سابق، ص 6.

² المرجع نفسه، ص 6-7.

والشعوب، وطباعها، وما يوجد بديارها من آثار وعجائب وما يدور على أسنة سكانها من أساطير وخرافات.¹

وأساس نجاح الرحال في نفع المؤرخ وعالم الاجتماع والأديب، والفلكي والفيلسوف، والسياسي والاقتصادي، هي صلته المباشرة بالبلدان والأقوام وحواره مع العلماء، وأصحاب المعرفة بأحوال البلاد والبشر.

2/ القيمة الأدبية:

تتجلى أدبية الرحلة في مواضيع عدة، وهذا راجع إلى الأساليب الفنية التي تقدم فيها موادها حيث "ترتفع بها إلى مستوى الخيال الفني"²، مع الإشارة إلى أن أدب الرحلة يحمل فوائد كثيرة تعود على المؤرخ والجغرافي وعالم الاجتماع، كما ذكرنا سابقاً، وذلك لأنه يحفل بكثير من "الأساطير والخرافات، وبعض المحسنات البلاغية، وجمال اللفظ وحسن التعبير، وارتقاء الوصف وبلوغه حداً كبيراً من الدقة، علاوة على ما يستعين به -أحياناً- من أسلوب قصص سلس مشرق، وهذا هو الذي يجعل بعض الدارسين يدخلون أدبيات الرحلات ضمن فنون الأدب العربي."³

فأدب الرحلة من الناحية الأسلوبية نجده يتنوع من سرد قصصي وحوار، ووصف دقيق للمشاهد المختلفة، بالإضافة إلى أن الرحالة يزود رحلته بأساليب بلاغية (طباق، جناس سجع...) بطريقة مسترسلة دون تكلف أو مبالغة حتى لا تفقد الرحلة معناها.

وقولنا أدب الرحلة يقترب من فن القصة، إنما هو راجع إلى طبيعة بعض الرحالة الذين جنحوا إلى سرد "القصص التي عاشوها أو سمعوا بها وكان سردهم لهذه القصص بعفوية وحيوية قربت الرحلة من عالم القصة."⁴ وإلى جانب السرد كذلك الوصف الدقيق لمعظم الرحلات كون جوهر الرحلة "هو وصف السفر من موضع على آخر وما تقع عليه

¹ شوقي ضيف: الرحلات، دار المعارف، القاهرة، د ط، 1956، ص 11-12.

² حسين محمود حسين: مرجع سابق، ص 8.

³ سيد حامد النساج: مرجع سابق، ص 8.

⁴ شوقي ضيف: مرجع سابق، ص 6.

أيضا عين المسافر من مشاهدات وما يستطرقة من أخبار.¹ بالإضافة إلى أن الرحلة لم تقتصر على القصة فقط وإنما اشتملت أيضا على جميع الفنون الأدبية كالرواية والشعر وغيرها لأن أدب الرحلة ليس مستقلا بذاته كبقية الفنون الأخرى.

ب/ الخصائص المميزة لمضمون الرحلة:

للرحال قناعة ودوق في اختيار مضمون رحلته، ومهما كانت هذه المضامين جيدة أو رديئة، والرحلة التي يقوم الرحال بتدوينها تكون ملمة بطوابع مضمونيه قد تستوفي جميعا في عمل واحد، وقد يتناول بعضها دون بعض، وهذه الطوابع كالتالي:

الطابع الموسوعي:

وهو الطابع المعرفي في الوقت ذاته، والرحال يركز على فروع علمية بعينها يؤديه إليها تخصصه وخبراته السابقة²، فمثلا الرحال الذي ارتحل لدافع علمي، فغايات رحلته تتعدد، فيمكن أن تكون رحلة في طلب الحديث، أو معرفة الأقاليم الجغرافية، أو لمعرفة تاريخ الأمم.

الطابع الوثائقي:

يزيد الرحال من مصداقية رحلته ويعمل على تزويد رحلته " بكل ما يؤكد هذا الجانب كالخرائط والإحصاءات، والتواريخ الدقيقة، والحوادث والتفصيلات الصغيرة."³

الطابع الفردي الذاتي:

ويكمن في ذكر الرحال تفاصيل دقيقة أثناء الرحلة " فالرحال لكونه كابد من المصاعب والمشقات الكثير، وقد يكون الاعتداد بتجاربه وتسجيلها نوعا من التعويض عن هذه

¹ حسين نصار: أدب الرحلة، الشركة المصرية العالمية للنشر، مصر، ط1، 1991، ص 132.

² عبد الرزاق الموافي، مرجع سابق، ص 49.

³ عبد الرزاق الموافي: مرجع سابق، ص 50.

المصاعب.¹ والرحال لذكر مغامراته التي عاشها تساعده على جذب القارئ والتأثير فيه، وتزيد من مصداقية رحلته " لأن راويها هو صاحبها ومجريها والعارف بأحداثها، والمحيط بتفصيلاتها وقد عاشها بجميع فكره وأحاسيسه."²

الطابع الكشفي:

من أهداف الرحلة هو الاكتشاف والبحث عن المجهول، وذلك من خلال استغلال الرحالة لبصره في التأمل " خاصة في حالات التوقف الجبري، أو بعد انتهائها في لحظات الاسترجاع والاستعراض العام لوقائعها، وكشف الرحال يأتي نتاج حركة علمية ودينية، تقدم في صورة مباشرة تدرك بسهولة."³ ومنه تعد الرحلة نوعا مميزا من طرق الكشف لنواحي المعرفة.

الطابع الإنساني:

الرحال ونظرا لكونه إنسانا فهو يوجه نظره إلى وصف البشر خاصة وما يتعلق به، ويركز على الصفات العامة والخاصة، ومن حيث الاتفاق والاختلاف بين شتى أجناسه، وذلك من خلال الجانب الخلقى والخُلقي، والاهتمام بصفاته العقلية والنفسية، وديانته ومعتقداته، ولغته وأهم عاداته وتقاليده.⁴

الطابع الشعبي:

إن احتواء النصوص الرحلية على المغامرات والواقع بالأساطير وذات الكاتب ومشاهداته والتجربة والحكمة والخيال والسحر والغرائب والعجائب هي " استجابة لمطالب

¹ المرجع نفسه: ص 51.

² فؤاد قنديل: مرجع سابق، ص 13.

³ عبد الرزاق الموافي: مرجع سابق، ص 52.

⁴ جمال الدين فالج الكيلاني: مرجع سابق، ص 52-53.

جمهورية واستجابة لمطالب شعبية ترغب في معرفة كل شيء عن غيرها.¹ إن فاللرحال دور الناقل للمعارف بغية نشرها.

الطابع الجمالي:

إن جمال الطبيعة وسحرها من العوامل التي تجذب أغلبية الرحالة والتي بدورها تساعدهم على إثراء رحلتهم واحتوائها على الكثير من "الملاحم الأدبية والنواحي الجمالية، والتي برزت في اختيار الألفاظ وحسن الأسلوب، وجمال التعبير"²

الطابع النقدي:

لاشك أن الرحالين يختلفون فيما بينهم في دقة ملاحظاتهم وفي درجة اهتمامهم، وفي نوع هذا الاهتمام، كما يختلفون أيضا في درجة صدقهم وأمانتهم، وفي تنوع فهمهم للأمور تحت الظروف المتغيرة التي يخضعون لها³. لهذا يتميز الرحال الحق عن المزيف كونه مستطيعا لنقد ما يرى، فهو لا يكتفي بالمشاهدة والوصف ولكنه يتعداهما إلى التفسير والنقد⁴. وهكذا فالرحال أثناء وصفه للبلدان والأقوام وغيرها، يصاحب ذلك إصدار أحكام تقييمية لما شاهده، مما يزيد من مصداقية رحلته.

الطابع الفكاهي:

يعتبر أحد النقاد أن من مميزات كتب الرحلات، أن تتجلى فيها روح الفكاهة، لأن روح الفكاهة، تعيد التوازن لمضمون الكتاب وشكله، بحيث يتقبله القارئ⁵.

وهكذا استطاع الباحث من خلال منهج التدوين تصنيف النصوص بين الجغرافيا الوصفية والأدب الجغرافي وأدب الرحلة.

¹ عبد الرازق الموافي، مرجع سابق، ص 53.

² حسين محمود حسين: مرجع سابق، ص 6.

³ المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

⁴ عبد الرازق الموافي: مرجع سابق، ص 56.

⁵ عبد الرازق الموافي: مرجع سابق، ص 56.

وفي خاتمة هذا الفصل يمكننا القول أن أدب الرحلة هو جنس أدبي خالص، يصور فيه الرحالة كل ما يصادفه في رحلته، وما جرى له من أحداث ووقائع، وبذلك كانت الرحلة سجلا تاريخيا لمختلف المعلومات، وقد جسدت ذلك كتب الرحلات التي تعتبر من أهم وأدق المصادر التاريخية والجغرافية والاجتماعية، لأن الرحال اعتمد على المشاهدة الحية والتصوير المباشر، حيث كان تأثيره على المتلقي واضحا، ولقد مزج هذا الفن بين المتعة والفائدة.

وقد شكل أدب الرحلة الجزائرية جوانب مضيئة في التراث الجزائري وهو بذلك يحوي مادة وفيرة، سنحاول الوقوف عند بعضها من خلال الفصل الثاني الذي خصصنا فيه مدينة جزائرية في النصوص الرحلية العربية.

الفصل الثاني

ميلة في أعين الرحلة العرب

- 1- مدينة ميلة في رحلة البكري
- 2- مدينة ميلة في رحلة الإدريسي
- 3- مدينة ميلة في رحلة العبدري
- 4- مدينة ميلة في رحلة الوزان

تعتبر مدينة ميله من بين المدن الجزائرية عراقه وقدها، وقد كانت على مر العصور محط أنظار الطامعين من الغزاة والمحتلين وحتى العابرين، والرحالة الذين اسهموا بكتاباتهم في إعطاء وصف طريف لتفاصيل المدينة، ومن بين هؤلاء الرحالة نذكر: البكري صاحب كتاب "المسالك والممالك"، والادريسي صاحب كتاب "نزهة المشتاق في اختراق الأفاق"، والعبدي في كتابه "الرحلة المغربية"، أو الرحلة العبدية، وأخيرا الحسن الوزان في كتابه وصف إفريقيا.

مدينة ميله في النصوص الرحلية العربية

1/ مدينة ميله في رحلة البكري: المسالك والممالك.

أ/ نبذة عن حياته:

البكري هو الأديب الناقد والمؤرخ الفقيه، والرحالة الأندلسي، الشهير عبد الله بن عبد العزيز بن محمد بن أيوب بن عمرو البكري، نسبة إلى بكر بن وائل، ولد في شلطيح عام 405هـ/487م، نشأ في قرطبة، وبها أتم دراسته على يد الأساتذة من أمثال أبي مروان بن حيان أكبر مؤرخي عصره، والجغرافيين ابن عمر العذري، وابن عبد البر حافظ الأندلس ومحدثها الأكبر الذي تسلم منه البكري إجازة للتدريس، وأبي بكر المصّحفي، غير أن العذري كان أكثر هؤلاء الأساتذة تأثير فيه، حدثه عن البلدان حديثا، صادف في نفسه هوى، فصرف جل اهتمامه على الكتب، ولهذا الغرض كان ارتحاله على أشبيلية عاصمة الأدب آنذاك.

توفي البكري بقرطبة التي رجع إليها ثانية، وكانت وفاته عام 487هـ/1094م، ألف البكري مصنفات كثيرة ومتنوعة منها: "أعلام النبوة، اشتقاق الأسماء، اللآليء، التنبيه في أغلاط أبي علي في أمالية"، غير أن شهرته ذاعت بذبوع شهرة كتابه في مجال الجغرافيا والرحلات "المسالك والممالك" و"معجم ما استعجم"، الذين تحمس لهما المستشرق دودي حتى قال عن صاحبها "إنه أكبر جغرافي أخرجته الأندلس قاطبة"¹

¹ عبد الحفيظ بوريو: المرجع السابق، ص 122.

ب/ وصف مدينة مليّة في رحلة البكري:

ساهم الرحالة البكري في تاريخ مليّة، وذلك من خلال المعلومات المعتبرة القيمة التي أفادنا بها، والتي تدور حول قيام المنصور بن بلكين بتأديب سكان مليّة وتهديم أسوارها بسبب تأييدهم لثورة أبي الفهم الخرساني، وإيوائهم الثائرين، وتهجيرهم إلى مدينة باغية على حافة كتلة الأوراس (قرب خنشلة)، " خرج المنصور من القيروان غازيا لكتامة فهي بقرب من مليّة، زحف إليها على اصطدام أهلها واستباحتهم، فخرج إليه النساء والعجائز والأطفال، بعد أن عبأ جيوشه لمحاربتها ونشر الجنود، وضرب الطبول، فلما رأى من خرج إليه بكى، وأمر أن لا يقتل من أهلها أحد، وأمر بهدم سورها وتسيير من فيها إلى مدينة باغية، فخرجوا بجماعتهم، وقد تحملوا ما خف من أمتعتهم، وبقيت مليّة خراباً¹ والبكري من خلال هذا النص يقدم لنا صورة عن مدينة مليّة في القرن الرابع الهجري/العاشر ميلادي، أيام كانت تحت حكم الصنهاجيين أو الزييريين وعندما قام سكان مليّة بثورة ضد الحاكم الزييري منصور، وامتنعوا عن دفع الضرائب، لأنهم يرون أن الحكم أحق إليهم من الزييريين الصنهاجيين، ومجيئ المنصور بعد ذلك والقيام بتهجيرهم.

والبكري من خلال نقله صورة مليّة أثناء الحكم الزييري، لأننا نجده ينتقل بعد ذلك إلى الحديث عن مليّة أثناء العهد الحمادي، حيث يقول: " ثم عمرت بعد ذلك، وعليها سور صخر اليوم وحولها ريبض، وبها جامع وأسوار وحمامات والمياه تطرد حولها، يسكنها العرب والجنود والمولدين، وهي من غرر مدن الزاب، ولمدينة مليّة باب شرقي يعرف بباب الروس، وعلى مغربة منه جامعها، وهو ملاصق لدار الإمارة، وباب جنوبي يعرف بباب السفلي، ويليه داخل المدينة عين تعرف بعين أبي السباع مجلوبة تحت الأرض من جبل بني هارون يشفى منها (...) ولها حمامات في ربطها، وبها عين تعرف بعين الحمى يرش منها على المحموم فيبيرا لبركتها وشدة بردها² من خلال هذا النص نجد أن البكري يعطي وصفا شاملا لمدينة مليّة، وذلك من خلال حديثه عن:

¹ البكري: المسالك والممالك المغرب في ذكر إفريقيا والمغرب، دار المثى، بغداد، د ط، 1965، ص 64.

² البكري: المرجع السابق، ص 64.

الفصل الثاني

- سور ميلة المشهور، والذي قام ببنائه الإمبراطور البيزنطي جوستينيان، بالإضافة إلى الأسوار التي تحيط بالمدينة.
 - أبواب المدينة، والتي تتمثل في باب شرقي يعرف بباب الروس، وباب جنوبي يعرف بباب السفلي.
 - الجامع الذي يقع غرب المدينة، والمعروف باسم مسجد سيدي غانم، وهو معلم أثري يحكي تاريخ ميلة، ويعتبر أقدم مسجد في الجزائر، وقد بناه الصحابي الجليل أبو مهاجر دينار على أنقاض معبد روماني. (ملحق رقم: 03)
 - سكان ميلة، وهم مزيج من العرب والبربر.
 - منابع مدينة ميلة، والتي تتمثل في منبع أو عين "أبي السباع"، والتي تتسرب مياهها إلى المدينة تحت الأرض من مصادرها في جبل بني ياروت (مارشو: يقال أن كلمة مارشو هي كلمة بربرية وتعني الماء الغزير)، بالإضافة إلى نبع بارد في الجهة، له ميزة شفاء المحمومين، ولذلك عرف بعين الحمى، ولا ننسى الحمامات التي أشار إليها البكري. (ملحق رقم: 01)
- إذا فالبكري أضاف معلومات عن ميلة أكثر دقة وأكثر تحديدا، الأبواب التي تحيط بالمدينة، السور الذي تشتهر به المدينة، الكميات الهائلة من المياه والتي تتمثل في الحمامات والينابيع (نبع أبي السباع الذي يتميز بشفاء المحمومين)، ولا ننسى الجامع والذي يعتبر معلم أثري للمدينة.
- وعندما ننتقل مع الرحالة الإدريسي صاحب كتاب "نزهة المشتاق في اختراق الأفاق" فإننا نجده يلتقي في كثير من مناحيه مع ما قدم البكري خاصة فيما يتعلق بموارد الماء.

2/ مدينة ميلة في رحلة الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الأفاق

أ/ نبذة عن حياة الإدريسي:

هو أبو عبد الله الإدريسي الملقب " الشريف الإدريسي " للامتداد نسبه إلى الإمام علي كرم الله وجهه، والإدريسي نسبه إلى جده الأعلى الذي ترك المشرق إلى مراكش وأسس إمارة مستقلة في عام 182هـ/789م، من أبرز الرحالة في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر ميلادي.

ولد بمدينة سبتة المغربية عام 453هـ/ 1100م، ونشأ في قرطبة عروس المدن الأندلسية حيث تلقى تعليمه.

استهوته الرحلة والترحال في سن مبكرة، فشد الرحال إلى شواطئ فرنسا وانجلترا، وزار لشبونة وبلاد المغرب، بل إنه وجد نفسه وهو حدث لم يتجاوز السادسة عشر في آسيا الصغرى.

وفي سنة 533هـ/1138م، دخل جزيرة صقلية في ظروف يكتنفها الغموض، حيث انفتحت أمامه أبواب قصر روجار الثاني ملك صقلية عام 560هـ/1165م، ولهذا الملك كتب الإدريسي رحلته " نزهة المشتاق في اختراق الأفاق".¹

ب/ وصف مدينة ميلة في رحلة الإدريسي:

نالت مدينة ميلة نصيباً من وصف الرحالة الإدريسي، حيث قال عنها: " مدينة ميلة وهي على أربع مراحل منها، ومدينة ميلة حسنة كثيرة الأشجار ممكنة الثمار وفواكهها كثيرة ومحاسنها ظاهرة ومياها غدقة، وأهلها من أخلاط البرابر جملة والعرب تحكم بخارجها وكانت في طاعة يحي بن العزيز صاحب بجاية"² ومما جاء في وصف الإدريسي أن مدينة ميلة مرت عليها أربعة عهود، تتمثل في عهد الأغالبة حيث ظهرت فيه ميلة كأهم المدن

¹ عبد الحفيظ بوريو: المرجع السابق، ص 110.

² الشريف الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، م 1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، د ط، 2002، ص

الفصل الثاني

وأشهرها في شمال إفريقيا، ثم عهد الفاطميين بعدما قام عبد الله الشيعي بإسقاط ميلة، وبعدها عهد الزييريين، والذي عرفت فيه ميلة انحطاطا كبيرا، ويليه العهد الحمادي، وفيه رجعت الحيوية إلى ميلة، مما أثار دهشة الإدريسي أثناء زيارته لما حبتها فيه الطبيعة من أشجار باسقة وفواكه يانعة، ومياه عذبة، ومناظر خلابة، لهذا نجد أن نظرة الإدريسي للمدينة كانت نظرة جمالية.

والادريسي لم يكتف في وصف ميلة من الناحية الطبيعية بل تجاوز ذلك إلى الحديث عن سكان ميلة باعتبارهم خليط من البربر والعرب.

وما يمكن استنتاجه من وصف الإدريسي أن وصفه كان موجزا، إلا أنه استطاع أن يقدم لنا صورة لمدينة عربية إسلامية في أزهى أيامها، وهي من دون شك أيام انتمائها إلى الدولة الحمادية.

3/ مدينة ميلة في رحلة العبدري: "الرحلة المغربية"

أ/ نبذة عن حياته:

هو أبو عبد الله محمد بن علي بن أحمد بن مسعود العبدري، وينتهي نسبه إلى عبد الدار بن قصي بن كلاب، وإليه نسبه، وهو فقيه ولغوي مغربي من القرن السابع الهجري ولد بمدينة بنسنية عام (688 هـ / 1289 م) ونشأ في الريف الجبلي بالصويرة من مراكش، حيث سكن أهله، ثم انتقل إلى العيش في " حاحة " في السوس الأقصى حيث قضى أيام شبابه /الثالث عشر ميلادي.

ولد بمدينة بنسنية عام (688 هـ / 1289 م) ونشأ في الريف الجبلي بالصويرة من مراكش، حيث سكن أهله، ثم انتقل إلى العيش في " حاحة " في السوس الأقصى حيث قضى أيام شبابه¹.

¹ عبد الحفيظ بورايو: مرجع سابق، ص 128.

وقد أفاد العبدري من كثرة مشايخه، وتتوّع ثقافتهم فأتقن كثيرا من الفنون، ظهرت جلية في رحلته التي بدا فيها المؤلف حافظا للقرآن والحديث، مطلقا على الأدب العربي نثره وشعره، وخطبه ورسائله، عارفا بأيام العرب وقراءتهم، وفصحاء خطبائهم وله معرفة بالأسماء والألقاب والكنى، وأسماء الأماكن، وبمصطلحات علوم الأدب والبلاغة والعروض.¹

ب/ وصف مدينة ميلّة في رحلة العبدري:

أما العبدري صاحب "الرحلة المغربية"، فقد تعرض لمدينة ميلّة في رحلته أثناء العهد الذي استحال فيه رسومها وانحط شأنها وشأن سكانها.

نجده يبادر وصفه لميلّة قائلا: "ثم إلى ميلّة فلم نر الا رسوما بحوادث الدهر محلية. يقتصر في وصفها من أراد أن يعمل بيانه على ما تقدم من وصف مليانة وكتلاه على شكر مدينة ليست بثمينة ولا متينة، عمل البلاء فيها وفي السكان وادخل الجميع في خبر كان."²

كانت مدينة ميلّة من أعظم مدن كتامة ومنطقة الزاب حتى وصفها البكري بأنها من غرر مدن الزاب، ولكنها بعد القرن الرابع الهجري (العاشر ميلادي) انحط شأنها وشأن سكانها نتيجة لظلم الحكام الحفصيين لما كانوا يفرضونه عليهم من ضرائب فادحة، لهذا قال عنها العبدري « وكفى ببلد خلاء وفناء لا يحوي ما يوصف إلا ماء وبناء³ »

بعدما استهل العبدري وصفه لمدينة ميلّة والحالة المزرية التي تعيشها، انتقل إلى الحديث عن أهم معلم تتميز به المدينة وهي العين التي تشفي المرضى من الحمى، قائلا: «وعينها أغزر العينين، تسقي البلد نهلا وعللا وتقيض عليها غللا وتشفي عللا، وعين ميلّة في داخل البلاد، ليست بفيض ولا تمد، وقد طويت طيا بديع الأحكام وبنيت بنيانا يدل على فرط الاعتناء والاهتمام تقف عليه النواظر وقوف استغراب وتصفه الألسنة على جهة

² أبو عبد الله العبدري: رحلة العبدري، تحقيق علي إبراهيم الكردي، دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، 2005، ص 8.

³ محمد العبدري البلنسي: الرحلة المغربية، منشورات بونة للبحوث والدراسات، الجزائر، (د ط)، 2007، ص 57.

⁴ المرجع نفسه، ص 58.

الاعراب¹ والعين التي أشار إليها العبدري يطلق عليها اسم "عين البلد"، وقد أطلق عليه هذا الاسم لأنها تقع وسط البلدة القديمة لميلة، وهي عين اكتشفها الرومان، وقام بتشييدها السكان بشكل جميل يجلب الناظر إليه وتسيبها بحجارة قديمة، فضلا عن ذلك كون مائها عذبا باردا في فصل الصيف ودافئا في فصل الشتاء ولها ميزة شفاء المحمومين.

وبعد هذا الوصف الذي قدمه العبدري ننتقل إلى وصف الحسن الوزان، والذي جاء شاملا لكل ما قاله الرحالة، فقد اكتست رحلته أهمية كبرى، لما اشتملت عليه من معلومات في غاية الأهمية تتصل بالحياة اليومية والحالة الاقتصادية المعاشة وأسلوب الحكم.

4/ مدينة ميلة في رحلة الحسن الوزاني: (وصف إفريقيا)

أ/ نبذة عن حياة الوزان:

تباينت الآراء بين المؤرخين حول أصل ونشأة وعقيدة الحسن بن الوزان، المعروف بليون الإفريقي، فمن الباحثين من يرى أنه إسلامي، ومنهم من ينفي ذلك، ويقول أنه مسيحي لمرحلة عاشها في حياته مع المسيحيين.

فقد زاد بعض من ترجموه وهم كازيري casiri بعد ذكر اسمه أنه من عائلة الزيادي، وزاد له جان ألبيرويد مانسטר J A widmanster ل يعد ليون لفريكان لفظة إلبيري"، ولعله يريد بذلك أبا علي، أما العائلة الوزانية بهذا اللفظ فقط فلم يعثر على نوعها إلا على بقية من نساء وصبيان لا يعرفون لأصلهم أصلا، وإنما يعرفون أن عائلاتهم طرأت على فاس وكانت وافرة العدد وهي الآن في الاضمحلال.

الحياة الإسلامية للوزان:

الحسن بن الوزان فاسي شخصية عربية إسلامية فذة ولد بمدينة غرناطة قبيل سقوطها على يد الإسبان، ويختلف المؤرخون في تحديد سنة ميلاده، فيجعلها بعضهم عام 901هـ/1495م، وبعضهم عام 906هـ/1500م، أخذ من تاريخيين ورد في كتاب "وصف

¹ محمد العبدري البلنسي، المصدر السابق، ص 58.

الفصل الثاني

إفريقيا"، استطرد المؤلف بعدهما ذكر سنة عن طريق الربط والمقارنة، ولا يستقيم كلا التقريرين عادة لأنه يلزم منها أن الحسن الوزان دخل الحياة العامة عدلا وسفيرا في سن الثانية عشرة أو الرابعة عشر، لذلك نرجح ما ذهب إليه، غير واحد من أنّ الوزان ولد حوالي 888هـ/1483 م، أي قبل سقوط غرناطة بنحو عشر سنوات.

ينتسب الحسن الوزان إلى قبيلة بني زيات الزناتية الواقع موطنها في أقصى غرب بلاد غمارة من سلسلة جبال الريف المغربية، بين ساحل البحر الأبيض المتوسط ومجرى وادي "لاو" القريب من مدينتي شفشاون ونطوان، وعاشت أسرته حقة من الزمن في الفردوس المفقود، انتقل مع أسرته صغيرا إلى فاس حيث درس على يد أعلام القرويين الكثيرين وعلى رأسهم آنذاك الإمام "محمد بن غازي المكناسي" الذي يفترض أن الوزان قرأ "الإسناد بعد انتقال أصل المنزل والناد"، وهو كتاب من الكتب التي اشتملت عليها فهرسته المعنون ب: "التعلل برسوم الإسناد بعد انتقال أهل المنزل والناد"، وهو فهرس كان يجيز به "ابن غازي" تلامذته، فهو يحتوي أيضا على علوم اللغة وآدابها والعقائد والفقه والتصوف والتفسير والقراءات والحديث والسير والحساب والفلك والمنطق وما إلى ذلك من العلوم المعروفة عند العرب المسلمين، ويؤكد هذا الافتراض كتاب "وصف إفريقيا"، إذ نجد المؤلف يستهل حياته العلمية بالانتصاب للشهادة مع عدول فارس الرسميين، ثم نجده يجالس الفقهاء والقضاة في المدن والقرى التي يزورها خلال رحلاته العديدة وينظرهم ويناقشهم في نوازل فقهية وفتاوي دقيقة، وهو إلى ذلك كاتب وشاعر يجبر المسائل وينظم القصائد، فيكون محط إعجاب الرؤساء، وينال من عطاياهم، وهو أيضا حيسوبي ماهر يستخلص واجبات بيت المال من القبائل، هذا النبوغ المبكر للحسن الوزان لفت إليه نظر سلطان فاس "محمد الوطاسي" المعروف بالبرتغالي، فقربه إليه ونظمه إلى سلك رجال بلاطه وأسند إليه -رغم حداثة سنه-، مهام سياسية خطيرة في ظرف كان المغرب خلاله يشكو علة التقسيم بالإضافة إلى النشاط الدبلوماسي والتجاري لأسرته التي دفعته إلى القيام برحلات عديدة داخل المغرب وخارجه.

الحياة الأوروبية للوزان:

عند انتقال الحسن الوزان من تونس إلى المغرب عن طريق البحر عام 926 هـ / 1520م، وقع رحّالتنا في أيدي القراصنة الإيطاليين فأسروه بالقرب من جزيرة جربة، وأخذه إلى نابولي ثم قدموه إلى البابا في روما.

من المعروف أن البابا ليون العاشر، من باباوات عصر النهضة الذين عملوا على احياء العلوم والآداب والفنون، لذلك سر بهذا العالم العربي الشاب الذي قُدم إليه، وسرعان ما وثقت الصلة بينهما كصلة قريب بقريب، لا أسير بأسير، فذكاء الحسن الوزان ساعده كثيرا على التأقلم بسرعة مع البيئة المسيحية، فهو موريسكي فتح عينيه في غرناطة التي كانت اللغة القشتالية الوثيقة الصلة باللاتينية منتشرة فيها، والكنائس بأساقفتها وطقوسها مثبتة في جوانبها.

ورغم إدراكه أنه لا يستطيع العيش حياة إسلامية في قلب المسيحية عمد إلى التظاهر بأنه مسيحي الديانة مستأنسا بقوله تعالى: " مَنْ كَفَرَ بِاللّٰهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ"، سورة النحل الآية 106، فحمل بذلك اسم مالكة البابا، فصار يدعى j.leon، أو يوحنا الأسد الغرناطي أو الإفريقي.

بدأت حياة ليون الإفريقي الثقافية في إيطاليا بتدريس اللغة العربية للخاصة من رجال الكنيسة في روما ونابولي، ولعامة الطلبة في مدرسة بولونيا الشهيرة في عصر النهضة الأوروبية، كما يتألف فيها كتب من مؤلفات باللغة الإيطالية أو اللاتينية في التاريخ والجغرافيا واللغة.¹

انتقل الحسن الوزان بعد موت البابا ليون العاشر سنة 1521م ليعيش في كنف الكاردينال "جيل دي فيطرب"، فكان يعلمه اللغة العربية، وكان هذا الكاردينال معجبا به كثيرا وأمل أن ينشر اللغة العربية في إيطاليا ليتمكنوا من دراسة العلوم والآداب العربية بلغتها الحقيقية خاصة كتب العربي في اللغة والطب والفلسفة والفلك والكيمياء وغيرها كونهم كانوا

¹ الحسن بن محمد الوزان الفاسي: وصف إفريقيا، ج 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 2، 1983، ص 5-13.

الفصل الثاني

في عصر النهضة، وقد استدعى الكاردينال "جيل" في آخر حياته أحد أصدقائه من حاشية الإمبراطور "شارلكان" في بولونيا، وهو جان ألبير ويد مانسطار، استدعاه إلى روما ليرى يوحنا الأسد" ليون الإفريقي" بهدف أن يوكله أمر هذا الأسير العربي العالم إلى النبيل المسيحي ليكلفه إذا مات كما فعل هو بمؤلفنا بعد موت البابا ليون العاشر، فقبل أن يصل ويد مانسطار إلى روما اختفى منها الحسين الوزان في ظروف غامضة حوالي عام 957هـ/ 1550م، والتحق بأقرب نقطة إليه في بلاد الإسلام وهي تونس، حيث عاد إلى حياته الإسلامية الأولى.

وفاته:

بعد اختفاء الحسن الوزان من روما عاد إلى تونس، فلا ندري إن بقي في تونس أم عاد إلى أهله في فاس، فحتى تاريخ ومكان وفاته لا يمكن ضبطهما، فقط يمكن القول إنه مات بعد عام 957هـ/ 1550م

مؤلفات الحسن الوزان:

ومؤلفات الوزان صنفان: صنف سلم من الضياع، فوصل إلينا كاملا أو ناقصا وصنف عفى عليه الزمان، فلم نعرف عنه غير الاسم، وما استطرده منه المؤلف عرضا من إشارات في كتبه التي وصلت إلينا.

من المؤلفات الباقية: معجم عربي - لاتيني، ألفه الوزان للطبيب اليهودي يعقوب بن شمعون.

- كتاب في التراجم باللاتينية
- الجغرافيا العامة باللغة العربية
- بعض المؤلفات التي أحال إليها في كتبه ولكنها ضاعت: مختصر تاريخ الإسلام
- أشعار الأضرحة
- كتاب في الفقه الملكي.

ب/ وصف مدينة ميلة في رحلة الوزان:

يعتبر الحسن الوزان صاحب أول نص شامل في وصف مدينة ميلة، إذ نجده يستهل وصفه بإعطاء لمحة تاريخية عن المدينة قائلا: "ميلة مدينة عتيقة بناها الرومان على بعد نحو اثني عشر ميلا من قسنطينة، تحيط بها أسوار قديمة تضم زهاء ثلاثة آلاف كانون) أي 3000 أسرة)، لكنها اليوم لم يبق فيها إلا قليل من الدور المسكونة، بسبب جور الأمراء"¹.

يشير الوزان من خلال هذا القول إلى أن مدينة ميلة قديمة النشأة، أسسها الرومان على بعد 50 كلم من قسنطينة، وأنها عرفت استقرارا بشريا، وقيمة حضارية كبيرة لما لها من أسوار تحيط بكل جوانبها، لكنها بعد القرن التاسع الهجري/15 ميلادي يرى الوزان أنها لم يبق فيها إلا القليل من الدور المسكونة، ويعود سبب ذلك إلى "أن الكثير من سكانها هجروا مساكنهم نتيجة لظلم الحكام الحفصيين، لما كانوا يفرضونه عليهم من ضرائب فادحة."²

ومع ذلك فإن الوزان لاحظ أن هذه المنطقة مزدهرة بالصناعة والفلاحة والمياه الصالحة للشرب والمفيدة في شفاء المرضى من الحمى وأمراض الكلى، إذ يقول: " وفيها عدد كبير من الصانع، وخصوصا من يعملون في نسيج الصوف الذي تصنع منه الأسرة، وفي ساحة المدينة عين جارية يستعمل ماؤها لمختلف حاجات السكان (...). ويكثر في البلاد التفاح والإجاص وغيرهما من الفواكه (...). كما يكثر فيها القمح أيضا"³، وحقا فمنطقة ميلة كانت تشتهر بزراعة الحبوب وتربية الأغنام مما جعلها مكتفية ذاتيا بالغذاء الرئيس لسكانها، وتصدر الفائض من منتوجاتها إلى مناطق أخرى كجيجل، وعلى الرغم من أنها منطقة مكشوفة لا تتمتع كثيرا بالغطاء الغابي إلا في بعض أجزائها. وهذه الحبوب كانت "تحفر لها مطامير عميقة في

¹ الحسن بن محمد الوزان الفاسي: المصدر السابق، ص 60.

² عبد الكريم بوصفصاف: المرجع السابق، ص 39.

³ الحسن بن محمد الوزان: المصدر السابق، ص 60.

الفصل الثاني

الأرض لخبزها في القرى والمشاتي الريفية"¹، بالإضافة إلى الحبوب ، ثمار الفواكه والأشجار المثمرة: كالتين والعنب، والرمان والسفرجل، والإجاص والتفاح وغيره من الفواكه، وهذه الأخيرة قد تم نسب اسم ميله إليه، فقد ذكر الوزان " أن اسم ميله مشتق من الاسم اللاتيني بمعنى التفاح"²، فهناك العديد من المدن يطلق عليها الاسم نتيجة إلى صنعة خاصة اشتهرت بها، أو صفة غلبت عليها من ذلك مندل مدينة بأرض الهند يكثر بها العود، حتى يقال للعود المندل، وسمهر قرية بالحبشة بها صناعة الرماح السمهرية.³

وقد تناول الوزان بالإضافة إلى الحبوب والفواكه، الصناعة، وخاصة نسيج الصوف التي تصنع منها غطاء الأسرة، وبعض الملابس كالبرنوس والقشابية.

بالإضافة إلى ما ذكر الوزان هناك أيضا حضور لصناعة الفخار والقرميد في تاريخ منطقة ميله منذ أولى العصور، فقد " وجدت نماذج فخارية اكتشفت بالجهة، والتي أعطت إضافات على حياة قدامى المنطقة، ما أبرز أهمية الفخار في علم الآثار."⁴ كما احتل الفخار مكانة في علم الآثار، فإن عين البلد التي أشار إليها الوزان الموجودة في قلب المدينة تعد من بين الآثار التي تزخر بها المدينة، ومن بين الأقدم من المئات من منابع المياه العذبة في منطقة الشرق الجزائري، حيث مازالت تدر ماء لحد الآن يأتيها من جوف جبل مارشو، وهذه العين التي أشار إليها الوزان لها أسماء عديدة: عين البلد، العين الرومانية، عين أبي السباع.

إن الوزان أثناء حديثه عن الصناعة والفلاحة في ميله، تحدث أيضا عن سكانها قائلا: " وهؤلاء السكان شجعان لكنهم مغفلون"⁵، وبالتالي يكون الوزان قد أطلق صفة حميدة على سكان ميله وهي الشجاعة، ولكنه في المقابل وصفهم بالمغفلين

¹ عبد الكريم بوصفصاف، مرجع السابق، ص 58.

² الحسن بن الوزان، المصدر السابق، ص 60

³ على جمال الدين فالح الكيلاني: مرجع سابق، ص 22.

⁴ عبد الكريم بوصفصاف: مرجع سابق، ص 30.

⁵ الحسن بن محمد الوزان: المصدر السابق، ص 60.

وربما يعود سبب ذلك إلى: أن سكان ميلة أساؤا التصرف معه، أو أنهم لم يقوموا باستضافته كما يجب، لهذا عكس الوزن حالته النفسية بالكلام السيء عن السكان، فالإنسان دوما إذا كانت علاقته سيئة مع شخص أو مكان ما دائما يكون حديثه عنه بالسوء، وربما أيضا يعود سبب اطلاقه هذه الصفة الذميمة على السكان لسبب آخر، وهو عندما كان السكان يقتلون الولاة المبعوثين من طرف أمير قسنطينة فمن " عادة أمير قسنطينة أن يبعث إلى هذ المدينة واليا ليقضي بين الناس ويحي ما خصص له من إيرادات في آن واحد، ويمكن أن يبلغ خراج ميلة زهاء أربعة آلاف دينار، ولكن كثيرا ما يقتل هؤلاء الولاة سبب قساوة أهل البلاد."¹

وما يمكن قوله أنه لو كان سكان ميلة حقا مغفلين، لما أنجبت منطقة ميلة الكثير من العلماء أمثال: العالم المتصوف عبد الله بن محمد الميلي، له مشهد بقرية" طوزة" من قرى بناحية سوسة بتونس، ويعرف باسم مقام سيدي عبد الله الميلي، والعالم محمد الميلي أستاذ الشيخ مبارك الميلي الهيلالي، العالم المؤرخ واضع أسس المذهب الإصلاحى لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وهو صاحب كتاب تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ورسالة " الشرك ومظاهره"، ومحمد شوارفة، معتمد جمعية العلماء المسلمين ومدرستها في بلدية فج مزالة (فرجوية)، والشيخ المطيش الطويل سليل جمعية العلماء ومفتيها بذات البلدية، والشيخ يعقوب بن عمران، نزيل ملارة، وابنه يوسف بن يعقوب البيوصفي الملاري، مؤسس الزاوية الملارية، ذات الصيت الذائع والنفوذ السياسى والروحى الواسع في المنطقة.²

هكذا وعلى الرغم من الكلام القاسى اتجاه سكان مدينة ميلة، إلا أن وصف الوزن لمنطقة ميلة يظل وصفا شاملا إذا ما قارناه بأقوال الرحالة الآخرين البكري والإدريسى والعبدي.

¹ المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

² عبد الكريم بوصفصاف: المرجع السابق، ص 40.

تبدأ المقارنة على أرض ميله بين هؤلاء الرحالة بالاتفاق حول تاريخها، حيث أورد العبدري أن ميله في القرن الرابع الهجري -العاشر ميلادي- كانت من أفقر البلدان وأحوجها للأمان، وذلك لما كانت تعانيه من اضطهاد الحكام الحفصيين، والوزان رسم نفس الصورة التي قدمها العبدري، في حين نجد البكري يقدم صورة ميله المزرية ولكن أيام انتمائها إلى العهد الصنهاجي، أما زمن مرور الادريسي بميله، فوجد خلاف ما وجده هؤلاء الرحالة، فقد وجدها في أزهى أيامها، أي أثناء العهد الحمادي.

أدت كثرة الصراعات على مدى القرون القديمة لميله إلى جعلها أرضا تنتزين بعديد من المواقع الأثرية، التي جعلت جل الرحالة يلتقون في وصفهم على أهم الآثار الموجودة فيها، كالعين التي بناها الرمان -عين البلدة-، والأسوار التي بناها البيزنطيون، وغيرها من الآثار.

ولأن ميله منطقة جبلية، خصبة، وافرة المياه، كثيرة الأشجار، اتفق هؤلاء الرحالة على أنها تتوفر على مياه عذبة تتمثل في الحمامات والعيون، وأيضا توفرها على الفواكه والحبوب الكثيرة والمتنوعة.

كان سكان ميله مجموعة من البربر، ولكن بعد مجيء العرب إبان الفتح الإسلامي واختلاطهم بهم أصبح سكانها خليطا من العرب والبربر، وهذا الوضع انتبه إليه كل من الوزان والبكري، والادريسي.

ومن خلال وصف هؤلاء الرحالة، فإن الشيء المختلف بينهم، هو أن وصف الوزان كان الأكثر اشتمالا لمظاهر الحياة في منطقة ميله، فهو تعرض لمختلف نواحيها: - **التاريخية**: من خلال الحديث عن تاريخها الأول، والوضع الحالي الذي تعيشه - زمن مرور الوزان بالمنطقة -

الاجت

ماعية: حديثه عن الموارد الفلاحية من حبوب وفواكه متنوعة، إضافة إلى أهم الحرف

الفصل الثاني

الموجودة في المنطقة، أو الصناعة التي يعيش عليها سكان المنطقة وأيضاً الحديث عن مميزات سكانها، والدخل المعيشي لهم.

- **السياسية** : وذلك من خلال الحديث عن طبيعة الحكم في المنطقة، و الوضع السياسي المعاش و علاقة السكان بالحاكم.

- **الثقافية**: حديثه عن المواقع الأثرية للمنطقة: السور و العين.

و على العموم فهؤلاء الرحالة ساهموا بشكل كبير في ترصد أو تعقب مراحل مختلفة من تاريخ المنطقة، لهذا نجد سعد زغول عبد الحميد في كتابه " الاستبصار في عجائب الأمصار"، بإجماع وصف هؤلاء الرحالة، و الوصول إلى الكلام الآتي:

- مدينة ميله: مدينة أزلية فيها بعض الآثار تدل على أنها كانت مدينة كبيرة¹. وهي الآن عامرة أهلة كثيرة الخصب، رخيصة السعر، على نظر واسع و قرى عامرة. و ميله كثيرة الأسواق و المتاجر، عليها سور صخر دليل من بناء الأولين. و في وسط المدينة عين خراة عذبة من بناء الأوائل، لها سرب كبير يدخل فيه فلا يوجد له آخر، ولا يعلم من أين يأتي ذلك الماء. و يقال أنه مجلوب من جبل بالقرب منها يسمى تامروت، و تعرف هذه العين بعين أبي السباع، و بالقرب من ميله جبل " العنصر "يسمى اليوم جبل بني " زلّوي"، و هم قبائل كثيرة من البربر سكنوا بذلك الجبل، و لهم خلاف كثيرة على الولاية بسبب منعة جبلهم، وفيه مدن و عمائر و قرى كثيرة، و هو أخصب جبال افريقية، فيه جميع الفواكه من التفاح الجليل و السفرجل الذي لا يوجد مثله في بلد و الأعناب الكثيرة.

و هكذا يكون سعد زغول ألمّ بجميع جوانب منطقة ميله، التي هي اليوم تطمح إلى نهضة اقتصادية و اجتماعية و ثقافية واسعة على غرار باقي الولايات الوطنية الأخرى، فهي على المستوى الاقتصادي و السياحي، تزخر بمصادر هائلة في هذا المجال: فعلى الصعيد

¹ سعد زغول عبد الحميد: كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار- وصف مكة و المدينة و مصر، و بلاد المغرب، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، د ط، 1985، ص 166.

الفصل الثاني

الفلاحي، توجد مساحات شاسعة من الأراضي الزراعية الخصبة التي لو استغلت بطرق حديثة و بعناية مستمرة لوفرت الاكتفاء الذاتي لسكانها، بل و لاستطاعت أن تصدر من منتوجها الزراعي إلى الولايات المجاورة، لاسيما القمح و الشعير و الخضراوات و الفواكه المختلفة، ومنتوجها من هذه المواد الأولية هو منتج رفيع الجودة، خاصة و أنها استقادت بأكبر سد للمياه، و أصبحت تمول عددا من الولايات بالماء الشروب كقسنطينة و باتنة و خنشلة و أم البواقي.

أما على المستوى السياحي: فإن وجود عدد كبير من الحمامات الاستشفائية والاستجمامية، و بعض المناطق الجبلية و الغابية و الكهوف و المغارات الكثيرة، بالإضافة إلى الآثار الرومانية و الإسلامية المنتشرة عبر الولاية جديرة بأن توفر مدخولا سنويا معتبرا، إذا تم استصلاح هذه القطاعات المختلفة و تطويرها.

و في ختام هذا الفصل يمكن القول أن الرحلة ليست و سيلة للترفيه فقط، أو هروب نفسي من ضغوطات داخلية أو خارجية، بل هي أكثر من ذلك، لأن بفضل الرحالة أدركنا بلدان و قارات و أقوام كنا نجهلها، بل و حتى تاريخ المنطقة التي نعيش فيها، فهؤلاء الرحالة كان هدفهم هو إدراك حقائق سمعوها، و معايشة أقوام أرادوا التعرف على حياتهم و تقديمها بصورة حسنة، و كذلك إدراك مدى تطور مجتمعات و تقهقر أخرى.

خاتمة

خاتمة:

و في ختام هذا البحث، يمكن القول بأن أدب الرحلات من أهم المصادر الجغرافية والتاريخية والاجتماعية، لأن الكاتب يستقي المعلومات والحقائق من المشاهد الحية والتصوير المباشر، مما يجعل قراءته مفيدة وممتعة ومسلية.

ولهذا حاولنا من خلال هذه الدراسة تسليط الضوء على أدب الرحلات من جهة ومدينة ميله في النصوص الرحلية العربية من جهة أخرى، فقد وجدنا أن الرحالة قد أسهموا في نقل كثير من الصور الجميلة لهذه المدينة ومشاهدها المميزة، وطبيعتها الجغرافية، وظروفها المعيشية، وكان أكثر هؤلاء الرحالة إسهاما في وصف مدينة ميله هو الرحالة الحسن الوزان، ولقد توصلنا من خلال بحثنا هذا إلى عدة استنتاجات منها:

- مدينة ميله من المدن العريقة.
- أسهمت الرحلة في التعريف بالعالم، أقطاره وشعوبه، وبالناس والأقوام، وذلك إبان الحقبة الزمنية التي لم يكن السفر البعيد عبر البراري والبحار بالشيء السهل.
- انتجت الرحلة مجموعة من الأخبار والعجائب والغرائب، ومشاهد البلدان والناس على اختلاف أجناسهم وأديانهم، وشكل الرحالة برحلاتهم المتميزة نموذجا فريدا للانفتاح على الآخر.
- الرحلة منبع ثري لمختلف العلوم والآداب التي تدخل في إطار الإنسانية والفلسفات والاتجاهات الفكرية، وهي بمجملها سجل حقيقي لمختلف مظاهر الحياة على مر العصور.
- إن الرحلة أكثر قالب للأمانة المعرفية، فهي الشيء الوحيد المساعد على اكتشاف الآخر، والمحيط العام ككل، ولهذا نشأت رحلات كثيرة ومختلفة باختلاف وجهة أصحابها.

- للمهاجرين الرحالة الفضل الكبير في تكوين الأفكار، فهم الذين ينقلون المشاهد ويشرحونها بما يتقف وميولهم، وما يتماشى وغاياتهم، كما تمليه عليهم أحوالهم النفسية والاجتماعية التي سافروا أو هاجروا إليها.
- بفضل الرحالة وبفضل القدر الهائل من المعرفة عن العالم والإنسان، لم يعد مكان على سطح الأرض، أو قوم من الأقوام البشرية مجهولا.
- الرحالة بعد أن جابوا البلاد، متحملين مشقة السفر وصعوبة الترحال، علاوة على معاناتهم لآلام الغربة، ليكتشفوا البلدان ويتعرفوا على الأقوام، ثم يعودوا في النهاية إلى بلادهم مزودين بالأخبار والمعلومات.
- كي يستطيع الرحالة نقل كل شاردة وواردة عن أقوام مغايرة، وجب عليه بالضرورة أن يكون ذا علم ودراية واسعين بالآداب والعلوم المختلفة، إضافة إلى ذلك يجب أن تكون له عين ثاقبة مدركة لكل ما يراه، ومحلل لا يغيب عنه شيء، وأن تكون له قوة التصوير الفني والأدبي، حتى يتمكن القارئ من استيعاب وتخيل الموصوفات.
- كان الرحالة أدياء ومؤرخين وجغرافيين ومكتشفين، لذلك جاءت كتاباتهم سجلا وافية ودقيقا وعميقا عن انطباعاتهم عن حياة الشعوب التي زاروها، ومظاهر سلوكهم وعاداتهم وتقاليدهم، ونظمهم الاجتماعية والسياسية، فكتابات هؤلاء تكشف عن درجات عالية من القدرة على الملاحظة الدقيقة التحليل.
- من أهم ما يستفيد منه الإنسان في حياته، الاطلاع على ما في البلاد ودول العالم من حضارات وعلوم ومعارف، والتعرف على ما يدور في العالم، في الرحلة فائدة علمية للعالم ولطالب العلم، فالعالم يزداد علما إلى علمه من الناس، أما بالنسبة لطالب العلم، فإنه يزداد ثقافة ومعرفة.
- تعد كتب الرحالة مصدرا هاما يتناول بعض جوانب الحياة، إن لم نقل جلها لاحتوائها على معارف متنوعة، الأمر الذي جعلها قبلة للعديد من الباحثين، بغية نهل المعارف التي تهتمهم.

- نالت المدن العربية العتيقة العريقة نصيبا من وصف ومشاهدات الرحالة العرب والأجانب، الذين حطوا بها الرحال عابرين أو زائرين أو مقيمين، ومن بين هذه المدن التي نالت نصيبا من وصف الرحالة مدينة ميله.
- يعتبر كتاب وصف إفريقيا للوزان مصدرا لمعلومات متنوعة الألوان من جغرافية وتاريخية وأثرية، فمثلا نجده يسهب في رخاء ميله الزراعي الذي يرجعه إلى غزارة المياه وخصوبة الأراضي، ومن الناحية التاريخية، يحتوي نص الرحلة على معلومات مختلفة في طبيعتها وفي قيمتها.

وفي الأخير، إن أدب الرحلات هو المخزن الثقافي المتنوع، لذا وجب علينا إدراك مدى أهميته، وأهمية الخوض في غماره، لأنه أدب تستقي منه مختلف العلوم، الجغرافية منها والعقائدية، حتى الطقوس ونفسيات البشر في مختلف البلدان والمجتمعات، فهو العلم الوحيد الجامع للإنسان والإنسانية، وللعلم والعالمية، لهذا يفرض توجيه مزيد من البحث والدراسة نحو تحليل مضامينه ومعرفة أشكاله وتنوعاته.

ملخص

الملخص:

أدب الرحلة يشكل جنسا أدبيا يصور فيه الرحالة مجموعة من الأخبار والعجائب والغرائب، ومشاهد البلدان والناس على اختلاف أجناسهم وأديانهم، لهذا يعد هذا الأدب من أهم وأوثق المصادر التاريخية والجغرافية والاجتماعية.

ونظرا لأهمية هذا الأدب عملنا على دراسته، وذلك من خلال عنوان "ميلة في النصوص الرحلة العربية- الحسن الوزان نموذجاً- ، ولإبراز هذا العمل اقتضت الضرورة البحثية أن نقسم الدراسة إلى مقدمة ومدخل وفصلين، حيث تتمحور مادتها حول مفاهيم عن الرحلة وأدبيتها، وأيضا لمحة عن مدينة ميلة، ونبذة عن أهم الرحالة الذين زاروها، وأهم المواضيع التي تطرقوا إليها، وفي الأخير ننهي العمل بخاتمة اقتصرت على أبرز النتائج التي توصلنا إليها

وفي الأخير نأمل أن يثمن هذا البحث المتواضع، ضمن الجهود التي تبذلها لتفعيل هذا الأدب وإعطائه نفسا جديداً.

RESUME :

La littérature de vol est un genre littéraire où le voyageur représente un groupe de nouvelles et merveilles et loufoque, et des scènes de pays et les gens de différentes ethnies et religions, c'est la littérature des sources les plus importantes et plus historiques, géographiques et sociales.

Compte tenu de l'importance de cette littérature notre travail sur l'étude, par le titre de « Mila dans les textes de vol arabe-Hassan Al-Wazzan Nmozja-, et de souligner le travail requis par les recherches nécessaires pour diviser l'étude à l'entrée et deux, où l'article a porté sur les concepts de vol et Odbetha, et aussi un coup d'oeil Mila ville, et sur les plus importants voyageurs qui ont visité, et les sujets les plus importants qui les a touchés, et dans ce dernier travail de finition a été limitée à la conclusion la plus importante de nos conclusions.

Dans le dernier espoir que les valeurs modestes de cette recherche, dans les efforts qui souhaitent activer cette littérature et lui donner un nouveau souffle.



قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية حفص

1/ قائمة المصادر:

- 1- ابن بطوطة محمد بن عبد الله: *رحلة ابن بطوطة: تحفة الناظر في غرائب الأمصار و عجائب الأسفار ج1*، تقديم محمد السويدي، موقع للنشر، الجزائر، د ط، 1989.
- 2- ابن خلدون: *المقدمة*، ج2، دار الكتاب اللبناني، د ط، بيروت، 1960.
- 3- ابن ماجة: *: السنن*، ج2، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت، د ط، د ت.
- 4- أبو عبد الله العبدري: *رحلة العبدري*، تحقيق علي إبراهيم الكردي، دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، 2005.
- 5- أبو عبيد البكري: *المعرب في نكر بلاد أفريقيا والمغرب*، جزء من كتاب المسالك والممالك، مكتبة المثنى، د ط، بغداد، د ط، 1965.
- 6- الترميذي: *الجامع الصحيح*، ج5، دار الكتب العلمية، د ط، 1992.
- 7- الحسن بن محمد الوزان الفاسي: *وصف أفريقيا*، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 2، 1983.
- 8- الشريف الإدريسي: *نزهة المشتاق في اختراق الأفاق*، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د ط، 2002.
- 9- المسعودي علي بن الحسن: *مروج الذهب ومعادن الجوهر*، ج 1، تقديم محمد السويدي، موفق للنشر، الجزائر، ط، 1999.

2/ المراجع:

- 1- أبو القاسم سعد الله: *تجارب في الأدب و الرحلة*، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د ط 1983.
- 2- أحمد توفيق المدني: *حياة كفاح* (مذكرات) الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، د ط، 1954م.
- 3- أحمد توفيق المدني: *كتاب الجزائر*، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، د ط، 1984.
- 4- أحمد فؤاد باشا: *التراث العلمي للحضارة الإسلامية و مكانته في تاريخ العلم و الحضارة*، مطبعة دار المعارف، القاهرة، ط 2، 1984.
- 5- جمال الدين فالح الكيلاني: *الرحلات و الرحالة في التاريخ الإسلامي*- دراسة في مصادر التاريخ الإسلامي الوسيط- دار الزنبقة للطباعة والنشر، القاهرة، د ط، 2004.

- 6- حسن حنفي: **التراث و التجديد، موقفنا من التراث القديم**، مكتبة الأنجلو المصرية، د ط، القاهرة، د ت.
- 7- حسني محمود حسين، **أدب الرحلة عند العرب**، دار الأندلس، بيروت، ط2، لبنان، 1986.
- 8- حسين محمد فهيم: **أدب الرحلات**، عالم المعرفة، د ط، الكويت 1989.
- 9- حسين نصار: **أدب الرحلة**، الشركة المصرية العالمية للنشر، مصر ، ط1، 1991.
- 10- سعد زغول عبد الحميد: **كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار**-وصف مكة والمدينة ومصر وبلاد المغرب، دار النشر المغربية، دار البيضاء، د ط، 1985.
- 11- سميرة أنساعد: **الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري**، دراسة في النشأة والتطور والبنية، دار الهدى للنشر، د ط، الجزائر، 2009.
- 12- سيد حامد النساج: **منشورات كتب الرحلة (قديمًا وحديثًا)** مكتبة غريب، د ط، دت.
- 13- شعيب حليفي: **الرحالة العرب والمسلمون: اكتشاف الآخر المغرب منطلقًا ومونلا (أعمال ندوة)** الرحلة المغربية إلى أوروبا(النص والصورة)، وزارة الثقافة، ط 1، المملكة المغربية، 2009.
- 14- شوقي ضيف: **الرحلات**، دار المعارف، القاهرة، د ط، 1956.
- 15- صلاح الدين الشامي: **الرحلة عين الجغرافيا المبصرة في الكشف الجغرافي والدراسة الميدانية**، منشأة المعارف ، د ط، الإسكندرية 1999.
- 16- عبد الحفيظ بوريو: **مدينة قسنطينة في أدب الرحلات**، مدار يونيفارسي تي براس للنشر والتوزيع، ط 2، 2013.
- 17- عبدالرحيم مودن: **أدبية الرحلة**، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ط 1، دار البيضاء، 1996.
- 18- عبد الكريم بوصفصاف: **جهاد المرأة الجزائرية في ولاية ميلة 1954-1962**، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع عين مليلة، د ط، 2008.
- 19- على إبراهيم كودي: **أدب الرحلة في المغرب والأندلس**، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، ط 1، 2013.
- 20- علي الكافي: **ولايات الكفاح**، وزارة الأخبار،، تونس، ط1، 1961.
- 21- عواطف محمد يوسف نواب: **الرحلات المغربية والأندلسية، دراسة تحليلية مقارنة**، مكتبة الملك فهد الوطنية، د ط، الرياض، 1996.
- 22- فؤاد قنديل: **أدب الرحلة في التراث العربي**، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، ط 2، 2002.

- 23- ناصر عبد الرازق المواقفي: **الرحلة في الأدب العربي** (حتى نهاية القرن الرابع الهجري)، كلية الآداب جامعة القاهرة، ط 1، 1995.
- 24- نوال عبد الرحمان الشوابكة: **أدب الرحلة الأندلسية و المغربية حتى نهاية القرن التاسع الهجري**، دار المأمون للنشر و التوزيع ، دط، عمان، 2008.

3/ القواميس والمعاجم:

1. ابن منظور الافريقي المصري: **لسان العرب**، ج 17، تحقيق عبد الله على الكبير وآخرون، دار المعارف، د ط، القاهرة، د ت.
2. أحمد الفراهيدي: **العين**، ج 2، تحقيق عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 2000.
3. مجدي وهبة، كامل المهندس: **معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب**، مكتبة لبنان، ط 2، بيروت، 1984.
4. محمد مرتضى الحسيني الزبيدي: **تاج العروس**، ج 2، تحقيق عبد الفتاح الحلو، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، د ط، 1997.
5. مصطفى إبراهيم وآخرون: **المعجم الوسيط**، مادة مدن، مطبعة القاهرة، 1961.
6. ياقوت الحموي: **معجم البلدان**، م 1، دار صادر، بيروت، ط 1، د ت.

الملاحق



ملحق رقم 02: عين البلد (عين أبي السباع، عين
الحمى، العين الرومانية)



ملحق رقم 03: مسجد سيدي غانم (أبو
المهاجر دينار)



فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

ب.....	مقدمة:
8.....	مدخل:
10.....	مفهوم المدينة:
10.....	أ/ لغة:
11.....	ب/ اصطلاحا:
13.....	أصل تسمية مدينة ميله:
15.....	مدينة ميله في مسيره التاريخ
15.....	ميله في العهدين الروماني والإسلامي:
17.....	ميله في العهدين العثماني والفرنسي:
18.....	ميله بعد الاستقلال:
12.....	الفصل الأول
12.....	أولا: مفهوم الرحله
12.....	ثانيا: الرحله أنواعها ودوافعها
12.....	ثالثا: مفهوم أدب الرحله وعلاقته بالجغرافيا الوصفية والأدب الجغرافي
13.....	الفصل الأول:
13.....	أولا: مفهوم الرحله
13.....	1/ لغة:
14.....	2/ اصطلاحا:
15.....	3/ الرحله في القرآن الكريم والسنة النبويه الشريفه:
16.....	أ/ في القرآن الكريم:
18.....	ب/ في السنة النبويه:
20.....	ثانيا: الرحله أنواعها ودوافعها
20.....	1/ أنواع الرحلات:
20.....	أ/ الرحلات الواقعيه:

- 21.....ب/ الرحلات الخيالية.....
- 22.....2/ دوافع الرحلة:.....
- 22.....أ/ دوافع دينية:.....
- 23.....ب/ دوافع علمية أو تعليمية:.....
- 23.....ج/ دوافع تجارية:.....
- 24.....هـ/ دوافع سياسية:.....
- 24.....هـ / دوافع سياحية :.....
- 25.....و/ دوافع صحية:.....
- 26.....ثالثا: مفهوم أدب الرحلة وعلاقته بالجغرافيا الوصفية والأدب الجغرافي.....
- 26.....أ/ مفهوم أدب الرحلة:.....
- 28.....ب/ الأدب الجغرافي:.....
- 29.....ج/ الجغرافيا الوصفية:.....
- 34.....رابعا: قيمة أدب الرحلة والخصائص المميزة للمضمون.....
- 34.....أ/ قيمة أدب الرحلة:.....
- 34.....1/ القيمة العلمية:.....
- 35.....2/ القيمة الأدبية:.....
- 36.....ب/ الخصائص المميزة لمضمون الرحلة:.....
- 36.....الطابع الموسوعي:.....
- 36.....الطابع الوثائقي:.....
- 36.....الطابع الفردي الذاتي:.....
- 37.....الطابع الكشفي:.....
- 37.....الطابع الإنساني:.....
- 37.....الطابع الشعبي:.....
- 38.....الطابع الجمالي:.....
- 38.....الطابع النقدي:.....

- 38..... الطابع الفكاهي:
- 41..... مدينة ميلة في النصوص الرحلية العربية.....
- 41..... 1/ مدينة ميلة في رحلة البكري: المسالك والممالك.....
- 41..... أ/ نبذة عن حياته:
- 42..... ب/ وصف مدينة ملية في رحلة البكري:
- 44..... 2/ مدينة ميلة في رحلة الإدريسي: "نزهة المشتاق في اختراق الأفاق".....
- 44..... أ/ نبذة عن حياة الإدريسي:
- 44..... ب/ وصف مدينة ميلة في رحلة الإدريسي:
- 45..... 3/ مدينة ميلة في رحلة العبدري: "الرحلة المغربية".....
- 45..... أ/ نبذة عن حياته:
- 46..... ب/ وصف مدينة ميلة في رحلة العبدري:
- 47..... 4/ مدينة ميلة في رحلة الحسن الوزاني: (وصف إفريقيا).....
- 47..... أ/ نبذة عن حياة الوزان:
- 48..... الحياة الإسلامية للوزان:
- 49..... الحياة الأوروبية للوزان:
- 50..... وفاته:
- 50..... مؤلفات الحسن الوزان:
- 51..... ب/ وصف مدينة ميلة في رحلة الوزان:
- 58..... خاتمة:
- 62..... الملخص العربية:
- 63..... الملخص بالفرنسية: